الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٧٤ — ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 174

Lundi - 2 - 11 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » العدد ١٧٤

فهرس العدد

حماسة الشعب*

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سر (م) باشا قال : لما رجع سعد باشا من أوربا فى سنة ١٩٢١ كانت الأمة فى استقباله كأنها طائر مد جناحيه لا خلاف لشىء منه على شىء منه ، بل كله هو كله ؛ وكانت المعارضة فى الاستحالة يومئذ كاستحالة وجود رقعة فى ريش الطائر

على أن ثوبَ السياسة المصرية كثير الرُّقع دائماً بالجديد والخلق . فرقعةٌ من المعارضين ، وأخرى من المتعنتين ، وثالثة من المتخاذلين ، ورابعة من المعادين ، وخامسة وسادسة وسابعة من الحاسدين والمنافسين والمختلفين لشهوة الخلاف ، ورقاع بعد ذلك مما نعلم وما لا نعلم ، فان من العجيب أن هذا الجو الذى لا يتقلب إلا بطيئاً يتقلب أهله بسرعة ، وهذه الطبيعة التى لا تكاد تختلف لا يكاد أهلها يتفقون

ولكن سعداً رحمه الله رجع من أوربا رجعة الكرامة لأمة

---

* هذا فصل من أحاديث الباشا وكنا قد نسيناه

كاملة ، ففاز بأنه لم يخسر شيئاً من الحق ، وانتصر بأنه لم يهزم ، ودل على ثباته بأنه لم يتزعزع ، وذهب صولة ورجع صولةً وعزيمة ؛ فكان إيمان الشعب هو الذى يتلقاه ، وكانت الثورة هى التى تحتفل به ، وبطلت العلل كلها فلم يجد الاعتراض ما يعترض عليه ، واتفقت الأسباب فاجتمعت الكلمة ، وظهر سعد كأنه روح الأمة متمثلاً فى قدرة ، حاكما بقوة ، متسلطاً بيقين ....

نعم لم ينتصر البطل ولكن الأمة احتفت به لأنه يمثل فيها كمالاً من نوع آخر هو سرّ الانتصار ، فكانت حماسة الشعب فى ذلك اليوم حماسة المبدأ المتمكن يُظهر شجاعة الحياة وفورة العزائم وفضيلة الاخلاص وشدة الصولة وعناد التصميم ، ويثبت بقوة ظاهره قوة باطنة ، وكان فرح الأمة عناداً سياسياً يفرح بأنه لا يزال قوياً لم يضعف ، وكان ابتهاجُها مجداً يشعر بأنه لا يزال وافراً لم يُنتقص ، وكان الاجماع رداً على اليأس ، وكانت الحماسةُ رداً على الضعف

انبعثت صولةُ الحياة فى الشعب كله وابتدأ المستقبل من يومئذ ، فلو نزلت الملائكة من السماء فى سحابة مجلجلة يُسمع تسبيحهم ليؤيدوا سعداً — لما زادوه شيئاً ؛ فقد كان محله من القلوب كأنه العقيدة ، وكان التصديق مبذولاً له كأنه الكلمة الأخيرة ، وكانت الطاعةُ موقوفة عليه كأنه الباعث الطبيعى ، وكان البطل فى كل ذلك يشبه نبياً من قِبل أن كلا منهما صورة كاملة للسمو فى أفكار أمة

***

قال صاحب السر : ورجع الباشا من القاهرة وقد رأى ما رأى من مسامحة النفوس وصحة العهد واجتماع الكلمة وإعداد الشعب للمراس والمعاناة فقال :

تالله لقد أثبت (سعد) للدنيا كلها أن مصر الجبارة متى شاءت بنت الرجالَ على طريقة الهرم الأكبر فى العظمة والشهرة والمنزلة والقوة . ولقد صنع هذا الرجل العظيم ما تصنع حربٌ كبيرة تجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتناقض ، ودفعها بروح قومية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق السياسة يفور كما يفور العرق المجروح بالدم

إن هذه الأمة بين شيئين لا ثالث لهما : إما الحزم الى الآخر وإما الاضاعة . ولا حزم إلا أن يبقى الشعبُ كما ظهر اليوم طوفاناً حياً مستوىَ الطبيعة مندفعَ الحركة غامراً كلَّ مايعترضه الى أن يُقضىَ الأمر ويقولَ أعداؤنا يا سماء أقلعى

هكذا يعمل الوطن مع أهله كأنه شخص حىّ ينهم حين يستوى الجميع فى الثقة ، ويتآزر الجميع فى الأمل ، ويشترك الجميع فى العطف الروحى ، ولا يبقى لجماعة منهم حظ فى رغبة غير الرغبة الواحدة للجميع ؛ وهكذا يعمل الوطن بأهله حين يعمل مع أهله

كان أعداؤنا يحسبوننا ذباباً سياسياً لاشأن له إلا بفضلات السياسة ولا عمل له فى أزهارها وأثمارها وعطرها وحلواها ؛ فأسمعهم الشعبُ اليوم طنين النحل وأراهم إبَرَ النحل ، ليعلموا أن الأزهار والأثمار والعطر والحلوى هى له بالطبيعة

وكانوا يتخرّصون أن مذهبنا فى الحياة لمصلحة المعاش فقط ، وأن المصرى حاكما أو محكوماً لا يمدّ آماله الوطنية الى أبعد من مدة عمره سبعين أو ثمانين سنة ، فاذا أطلقوا أيدينا فى حاضر الأمة أطلقنا أيديهم فى مستقبلها . ومن ثم طمعوا أن يكون الحق الناقص فى نفسه حقاً تاماً فى أنفسنا لهذه العلة ؛ وحسبوا أن السياسى المصرى لا يتجرأ أن يقول ما يقوله السياسى الأوربى من أنه لا يخشى الموت ولكنه يخشى العار ، فانه إذا مات مات وحده ، وإذا جلب العار جلبه على نفسه وعلى أمته وعلى تاريخ أمته بَيْد أن سعدا قالها ؛ وفى مثل هذا قد يكون قول (لا) معركة

وها هى ذى معركة اليوم التاريخية ، فأن الذرات الحية التى تخلق من دمائنا نحن المصريين قد ثارت فى هذه الدماء فى هذا النهار تعلن أنها لا ترضى أن تولد مقيدة بقيود(1)

أندرى ماذا عرضوا على سعد ؟ إنهم عرضوا عليه ما يشبه فى السخرية طاحونة تامة الأدوات والآلات من آخر طراز ، ثم لا تقدم لها إلا حبةُ قمح واحدة لتطحنها .... نتيجة تسخر من أسبابها وأسباب تهزأ بالنتيجة

إن أوربا لا تحترم إلا من يحملها على احترامه ، فما أدرى

(1) لا ينس القارىء أن هذا كان فى سنة ١٩٢١

للسياسيين فى هذا الشرق عملا أفضل ولا أقوى ولا أردّ بالفائدة من إحياء الحماسة فى كل شعب شرقى ، ثم حياطتها وحسن توجيهها ؛ فهذه الحماسة الشعبية الدائمة القوية البصيرة هى قوة الرفض لما يجب أن يرفض ، وقوة التأييد لما يجب أن يُقبل وهى تعد ذلك وسيلة جمع الأمر وإحكام الشأن وإقرار العزيمة فى الأخلاق وتربية الثقة بالنفس ، وبها يكون إذكاء الحس وتعويده إدراكَ الأعمال العظيمة والتحمس لها والبذل فيها

وما علة العلل فينا إلا ضعف الحماسة الشعبية فى الشرق وسوء تدبيرها وقبح سياستها ، وإنا لنأخذ عن الأوربيين من نظامهم وأساليبهم وسياستهم وعلومهم وفنونهم فنأخذ كل ذلك بروحنا الفاترة فى خمول وإهمال وتواكل وتفرُّد بالمصلحة واستبداد بالرأى ، فاذا دينارهم فى أيدينا درهم ، وإذا نحن وإياهم فى الشىء الواحد كالنحلة والذبابة على زهرة

ليست لنا حماسةُ الحياة وبهذا تختلف أعمالُنا وأعمالهم ، وذلك هو السر أيضاً فى أن أكثر حماستنا كلامية محضة إذ يكون الصراخ والصياح والتشدُّق ونحوها من هذه المظاهر الفارغة — تنقيحاً للطبيعة الساكنة فينا وتنويماً منها بغير أن نجهدَ فى التنقيح والتنويع . ومن هذا كانت لنا أنواع من الكلام ينطلق اللسان فيها للخروج من الصمت لا غير .... ومنه كثير من هذا الهراء السياسى الذى يدور فى المجالس والأحزاب والصحف

إن حماسة الشعب لا تكون على أعدائه فقط بل على معايبه أيضاً وعلى ضعفه بخاصة . والشعب الفاتر فى حماسته لو نال حقين مغصوبين لعاد فخسر أحدهما أو كليهما ؛ أما الشعبُ المتحمسُ القويُّ فى حماسته ، فلو غُصِبَ حقين ونال أحدهما لعاد فابتزَّ الآخر

طنطا — مصطفى صادق الرافعي

إلى المؤلف الصغير : وصلت رسالتك يا بنى وأرى لك أن تنتظر عشرين سنة ثم تؤلفها مرة أخرى ....

الرافعى

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

— ٢ —

أثيرت مشكلة الوحى فى العالم العربى منذ بدأ النبى صلى الله عليه وسلم دعوته . فكفار قريش ما كانوا يريدون أن يقبلوا أن محمد بن عبد الله يَنزل عليه وحى سماوى ، وكثيرا ما رددوا جملتهم التهكمية المشهورة : هذا ابن أبى كبشة يُكلّم من السماء . واستبعدوا عليه كل البعد أن يتصل بالعالم الالهى وهو بشر مثلهم يأكل ويشرب ويتردد الى الحوانيت والأسواق : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ؛ لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها » بيد أن معجزاته بهرتهم وفصاحته أفحمتهم وهم أهل القول واللسن ، وزعماء البلاغة والبيان . فأخذوا يتهمونه تارة بالسحر والشعوذة ، وأخرى بالكهانة والتنجيم ؛ وعزوا اليه قوى خفية لا حصر لها . ولم يكن له من جواب على هذه الدعاوى الباطلة والاتهامات القاسية إلا أن يقول : « ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى » . فهو لا يجىء بشىء من عنده ، ولا يفترى عليهم الكذب ، وإنما يبلغ رسالة الله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين » .

ونظرية الاسلام فى الوحى وطرائقه سهلة واضحة . فهناك ملك خاص هو جبريل عليه السلام ، قادر على التشكل بأشكال مختلفة شأن الملائكة الآخرين ؛ وكل وظيفته تتلخص فى أنه واسطة بين الله وانبيائه . وعنه تلقى محمد صلى الله عليه وسلم كل الأوامر الدينية ، اللهم إلا فى ليلة المعراج فقد اتصل بربه مباشرة واستمع ما فُرض عليه وعلى أمته . ويجب أن نشير كذلك الى أن الأحلام وسيلة من وسائل الكشف والالهام ، فان النفوس الطاهرة تصعد أثناء النوم الى عالم الملكوت ، حيث تقف على الأمور الخفية والحقائق الغامضة . وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبدأ دعوته أحلاما آذنت بمهمته ، وكانت ارهاصا لنبوته

وبشيرا برسالته : والرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً من أجزاء النبوة . وفى القرآن الكريم سورة كاملة تشرح الأحلام وأثرها فى التنبؤ بالغيب ، ونعنى بها سورة يوسف

لم يتردد رجال الاسلام فى الصدر الأول مطلقا فى التسليم بهذه الوسائل الخاصة بالوحى والالهام . ولم يحاول واحد منهم أن يسأل عن النبوة فى سرها وأسامها ، ولا عن المعجزات فى عللها وأسبابها . وآمنوا إيماناً صادقاً بكل ما جاء من عند الله دون بحث أو تعليل . وقد عنوا منذ الفجر الأول للاسلام بالرؤيا وتعبيرها ووضعوا فى ذلك أبحاثا مستقلة لم تلبث أن كونت علما خاصا . وإنا لنجد بين التابعين تلك الشخصية الجليلة المعروفة بين رواة الحديث ، وهى شخصية ابن سيرين التى كانت تمد حجة فى تأويل الأحلام وتفسيرها . وعلَّ هذا فى الغالب هو السر فى أن المتأخرين نسبوا اليها فى هذا الباب كتباً ليست من صنعها (١)

بيد أن هذا التسليم الهادىء لم يطل أمده ، وهذا الاذعان الفطرى لم يبق فى مأمن من الشكوك والأوهام . فقد اختلط المسلمون بعناصر أجنبية مختلفة نفثت فيهم كثيرا من سمومها ، ولم ترع أصلا من أصول دينهم إلا وضعته موضع النقد والتشكيك والتضليل . ولا غرو فقد كانت هذه العناصر موتورة من الدين الذى ألغى أديانها ومن الحضارة الجديدة التى سلبتها مجدها وعزها . لهذا تألبت فى كل جموعها ، وأخذت تحارب الاسلام بشتى الوسائل لتثأر لنفسها ودينها وتسترد نفوذها وسلطانها ، ولكنها عبثا حاولت وباءت بالخيبة والفشل : « انا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فالمزدكية والمانوية من الفرس ، وأنصارهم من زنادقة العرب ، بدأوا فى القرن الثانى للهجرة ينشرون دعوة الثنية ويهدمون فكرة التوحيد التى قام عليها الأسلام . وكلنا يعلم خبر بشار بن برد وصالح بن عبدالقدوس الثنويين اللذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمانوية (٢) السُّمنيّة وغيرهم من براهمة الهند أخذوا فى ذلك العهد نفسه ينادون بتناسخ الأرواح ، وينكرون النبوة والأنبياء ، ولا يرون حاجة البشر اليهم . وصاحب الأغانى يقص علينا حديث جرير بن حازم الأزدى السمنى وما كان بينه وبين عمر بن عبيد فى البصرة

(١) Encyc. de l'Islam, II, 449

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥٧

من حوار ونقاش (١) . وملأ اليهود كتب الحديث والتفسير باسرائيلياتهم ، وقالوا بالرجعة والتشبيه وخلق القرآن كما قالوا بخلق التوراة من قبل (٢) . وأرسل آباء الكنيسة على المسلمين شواظا من أسئلتهم واعتراضاتهم المتعلقة بمشكلة الجبر والاختيار فزادوها تعقيدا ، وشغلوا الناس بها فوق عرفهم ومألوفهم ، وذهبوا الى إنكار أبدية عذاب النار فقال الجهم بن صفوان معهم إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما (٣) واجترأ الدهرية على أن ينكروا البارىء جل شأنه والعقاب والمسؤولية ، وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر

وقد سل المعتزلة وغيرهم من مفكرى الاسلام لهؤلاء وهؤلاء سيف الحجة والبرهان وجادلوهم جدالا قد لا نجد له نظيرا فى تاريخ الأديان الأخرى . فأبلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بلاء حسناً فى معارضة بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس . وناظر أبو الهذيل العلاف الثنوية فى البصرة وهدى بعضهم الى الاسلام . وكان للنظام ، وهو أحذق الجدليين فى الشرق ، قدم صادقة فى مناقشة الزنادقة والدهرية والديصانية . ثم جاء من بعده تلميذه الجاحظ فسار على سنته ، وبذل فى هذا النضال همة طائلة ومهارة فائقة ، واستعان عليه باطلاعه الواسع واسلوبه العذب وقلمه السيال (٤) . وفى كتاب الانتصار لأبى الحسين الخياط المعتزلى الذى طبع فى مصر أخيرا تفاصيل كثيرة عن هذه الملاحم الكلامية والمعارك الجدلية . وكثر الحوار بين المسلمين والنصارى من جانب وبين المسلمين واليهود من جانب آخر . وأخذت طائفة من الاسماعيلية على عاتقها رد شبه مفكرى النبوة والأنبياء ومعجزاتهم . وفى اختصار كان القرنان الثالث والرابع للهجرة — أو التاسع والعاشر للميلاد — ميدانا فسيحا لجدال عنيف شمل معظم أصول الاسلام ومبادئه

وليس هناك شك فى أن التسليم بالوحى والمعجزة ألزم هذه الأصول وأوجبها ؛ فان منكرى النبوة ينقضون الدين من أساسه ويهدمون الحضارة الاسلامية كلها . وعلى الرغم مما فى هذه

(١) الأغانى ، ج ٣ ص ٢٤

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٦٧ — الشهرستانى ، الملل ، ج ١ ص ٨٥ — ٨٦

(٣) ابن حزم ، الفصل ، ج ٤ ، ص ٨٣

(٤) نيبرج ، الانتصار ، مقدمة ، ص ٥٤ — ٥٨

الدعوى من جرأة وفى هذا الموقف من تهجم ، فانا نجـد بين المسلمين من وقفوه . ودون أن نعرض لـكل من خاضوا غمار هذا الموضوع فى القرنين الثالث والرابع للهجرة نشير الى رجلين : هما أحمد بن اسحق الراوندى ومحمـد بن زكريا الرازى الطبيب .

فأما الأول فشخصية غريبة للغاية ، ولا يعرف بالدقة تاريخ مولده ولا وفاته ، ويغلب على الظن أنه مات فى أخريات القرن الثالث . وهو من أصل يهودى نشـأ فى راوند قرب اصبهان ، ثم سكن بغداد واتصل بالمعتزلة ، وكان من حذاقهم ، وعده المرتضى بين طبقتهم الثامنة [١] . إلا أنه لم يلبث أن خرج عليهم لأسباب لم يجلـها التاريخ بعـد ، وحمل عليهم ، بل وعلى الاسـلام وتعاليمه المختلفة ، حملة عنيفة . ولازم الملحدين واتصل بهم اتصالاً وثيقاً . ويظهر أنه أضحى دسيسة ضد المسلمين يدبر لهم المكائد ويُستأجر للطعن عليهم وينشر فيهم عناصر الزيغ والألحاد . ولم يخف أمره على بعض اليهود المخلصين الذين حذروا المسلمين منه وقالوا لهم : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسـد أبوه التوراة علينا [٢] .

وقد كتب كتباً كثيرة كلها انتقاص للاسلام ورجاله ؛ منها كتاب فضيحة المعتزلة فى الرد على كتاب فضيلة المعتزلة ، الذى وضعه الجاحظ من قبل ، وكتاب الدامغ يعـارض به القرآن ، وكتاب الفرند فى الطعن على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الزمردة فى انكار الرسـل وابطال رسالتهم [٣] . والـكتاب الأخير يعنينا بوجه خاص فانه يعطينا فكرة عن مسألة النبوة ، وكيف كانت تثار فى ذلك العهد . وقد بقى هذا الـكتاب مجهولا الى زمن قريب ؛ ويرجع الفضل فى التعريف عنـه الى صديقنا المسيو كراوس الذى اهتـدى اليه فى مخطوطة من المخطوطات الاسماعيلية الموجودة فى الهند ، وهذه المخطوطة ليست إلا جزءاً من المجـالس المؤيدية المنسوبة الى المؤيد فى الدين هبة الله بن أبى عمران الشيرازى داعى الدعاة الاسماعيلى أيام الخليفة الفاطمى المنتصر بالله[٤] وتشتمل المجـالس المؤيدية فى جملتها على ٨٠٠ محاضرة ألقيت فى « دار العـلم » بالقاهرة فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ودرست فيها المشاكل الاسلامية على اختلافها [١] . وفى المجلس السابع عشر من المـائة الخامسة الى المجلس الثانى والعشرين يعرض المحاضر لأقوال الراوندى فى الطعن على النبوة ويعقب عليها بالنقض والرد . وهذه المجالس الستة هى التى نشرها المسيو كراوس وترجمها الى الألمانية وعلق عليها تعليقاً ضافياً يدل على اطلاعه الواسع وبحثـه العميق فى مجلة الرفستا الايطالية سنة ١٩٣٤ [٢] . فهى لا تحوى كتاب الزمردة فى مجموعه ، بل فقرات منه تولى الاسماعيلية مناقشتها وإظهار ما فيها من خطأ ومغالطة . وقد صيغت هـذه المناقشة فى قالب مشوق جذاب ، وإن تكن مسجعة سجعاً ثقيلاً أحيانا . وفيها دفاع وردود عقلية هى أثر من آثار الثقافة الاسماعيلية المترامية الأطراف . ولا يتسع المقام لعرض هذه المناقشة فى تفصيلها ؛ وسنكتفى بأن نستخلص دعاوى ابن الراوندى واعتراضاته

قد يكون أول شىء يلحظه المطلع على هذا الحوار هو ما فى ابن الراوندى من حذق ومهارة ومكر ودهاء . يقف موقفاً بعيداً عن التحيز — ولو فى الظاهر على الأقل — كى يجتذب اليه كل القراء ، فهو لا يتعرض للنبوة بالنفى والانكار فقط ، بل يناقش موضوعها مناقشـة حرة طليقة يأتى فيها على أقوال المثبتين والمنكرين . وكم نأسف لأن صاحب المجالس المؤيدية أهمل جانب الاثبات فى هذه القضية [٣] . ولو وافانا به لاستطعنا أن نحكم فى وضوح ما إذا كان واضع كتاب الزمردة يكيل بكيلين . على أن هناك ظاهرة أخرى تؤيد أن ابن الراوندى يمعن فى الدهاء والمـكر ؛ فهو يعلن فى أول بحثه أنه لا يعمل شيئا سوى أنه يردد أقوالا جرت على ألســـنة البراهمة ، فى رد النبوات [٤] . وسواء أكانت هـذه الأقوال من آثار الفكر الهندى أم من اختراع ابن الراوندى فهى تتلخص فيما يلى : إنكار للنبوات عامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، نقد لبعض تعاليم الاسلام وعباداته ، ثم رفض فى شىء من التهكم للمعجزات فى جملتها . فأما الرسل فلا حاجة إليهم لأن الله قد منح خلقه عقولاً يميزون بها

---

(١) ابن خلـكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٨ — ٣٩ — المرتضى : المنية والأمل ، ص ٥٣

(٢) معاهد التنصيص ، جـ ١ ، ص ٧٦ — ٧٢

(٣) نيبرج ، الانتصار ، ص ٣٢ — ٣٧

(٤) P. Kraus, Beiträge zur isla michen Ketzerges chichte, in Rivista (1934), p. 94

---

(١) Hamdaui, The Hist. of the Js mâ'îlì Da'wat, p p, 126—139.

(٢) Kraus, Rivisto, 96—109,110—120

(٣) Ibid. p. 96

(٤) Ibid.

الخير من الشر ويفصلون الحق عن الباطل ، وفى هدى العقل ما يغنى عن كل رسالة . يقول ابن الراوندى : « إن البراهمة يقولون إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه ، وأنه هو الذى يُعرف به الرب ونعمه ، ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب . فان كان الرسول يأتى مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر ، فساقط عنا النظر فى حجته واجابة دعوته ؛ إذ قد غنينا بما فى العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وإن كان بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته [1] » . وسيراً فى هذا الطريق العقلى المزعوم يرى ابن الراوندى أن بعض تعاليم الدين منافٍ لمبادئ العقل ، كالصلاة والغسل والطواف ورمى الحجارة والسعى بين الصفا والمروة اللذين هما حجران لاينفعان ولايضران . على أنهما لا يختلفان عن أبى قبيس وحراء فى شىء ، فلم امتازا على غيرها ؟ وزيادة على هذا أليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت [2] ؟ والمعجزات أخيراً غير مقبولة فى جملتها ولا فى تفاصيلها ؛ ومن الجائز أن يكون رواتها ، وهم شرذمة قليلة ، قد تواطأوا على الكذب فيها . فمن ذا الذى يسلم أن الحصى يسبح أو أن الذئب يتكلم [3] ؛ ومن هم هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصرة نبيه ؟ يظهر أنهم كانوا مفلولى الشوكة قليلى البطش ، فانهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدى المسلمين معهم لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلاً . وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبى صلى الله عليه وسلم بين القتلى ولم ينصره أحد [4] ؟ وبلاغة القرآن على تسليمها ليست بالأمر الخارق للعادة ، فانه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها ، ويكون فى هذه القبيلة طائفة أفصح من البقية ، ويكون فى هذه الطائفة واحد هو أفصحها . وهب أن محمداً صلى الله عليه وسلم غالب العرب فى فصاحتهم وغلبهم ، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان وما حجته عليهم [5] ؟

لسنا فى حاجة مطلقاً لأن نرد على هذه الشبه الواهية والدعاوى الباطلة ، وسيدرك القارىء بنفسه ما فيها من تضليل ومغالطة .

ولا نظننا فى حاجة كذلك إلى سرد الدفاع المجيد الذى دبجه يراع الاسماعيلية ضدها ، وفى مقدور كل باحث أن يرد عليها بآرائه الخاصة وأفكاره المستقلة ؛ وكل ما نريد أن نلاحظه هو أن ابن الراوندى يردد نغمة ألفناها لدى المعتزلة من قبل . فهو ينادى بالحسن والقبح العقليين ، ويذكرنا بذلك السؤال الذى وضعته مدرسة المعتزلة لأول مرة وهو : هل الايمان واجب بالشرع أو بالعقل ؟ بيد أن المعتزلة المخلصين لم يستخدموا العقل هذا الاستخدام السىء ، وبذلوا جهدهم فى أن يوفقوا بينه وبين الدين ، وأن يردوا على شبه الزنادقة والملحدين بكل ما أوتوا من حجة بينة وبرهان قاطع . ومسألة العقل والنقل هى عقدة العقد ومشكلة المشاكل فى ذلك العهد ! وسنعرف فيما يلى كيف استطاع الباحثون الآخرون حلها

(يتبع) ابرهيم مدكور

(١) Idid. 90 (٢) Ibid. 99. (٣) Ibid. 101
(٤) Ibid. 105 — 106 (٥) Ibid., 102

صور سياسية

٥ - فرنسا وباريس
الحريات المتطرفة
وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية
بقلم سائح متجول

ليس بين أمم العالم أكثر ترديداً لكلمات الحرية والأخاء والمساواة من فرنسا

ولا غرو فقد كانت الثورة الفرنسية مهد الحريات الديمقراطية فى أوربا ، ومنها انبثق فجر الديمقراطية الأوربية الحديثة ، وفيها تقررت حقوق الانسان ، وكانت صيحة الحرية والأخاء والمساواة أقدس شعائرها

وقد خاضت الأمة الفرنسية كثيراً من الحوادث والخطوب وبذلت كثيراً من دمائها للاحتفاظ بذلك التراث المقدس : تراث الثورة الفرنسية ، وتراث الحريات الديمقراطية ؛ وما زالت فرنسا على رغم الحوادث والخطوب حصن الديمقراطية فى أوربا ، وما زال شعارها المقدس : « الأخاء والحرية والمساواة » ترقمه على نقدها ، وعلى جميع دورها العامة ، وتقرؤه فى كل مكان وكل مناسبة

ولا ريب أن الحريات العامة والحريات الشخصية أكثر توفرا فى فرنسا منها فى أى بلد أوربى آخر ؛ حرية القول والكتابة ، وحرية التصرف ، فى حدود القوانين طبعاً ؛ وفى فرنسا يعقد أى اجتماع ، ويلقى أى خطاب ، وينشر أى كتاب أو مقال سياسى أو اجتماعى ، دون أن تتدخل السلطات أو تعترض إلا ما كان واقعاً تحت طائلة القانون ، أو ما كان ينذر فعلاً بتكدير الأمن العام

هذا فى فرنسا فقط ؛ ولكن فرنسا تفهم الحريات خارج فرنسا فهماً آخر ؛ والسياسة الفرنسية لا تطيق أن تسمع لفظ الحرية فى شمال أفريقية مثلاً أو فى غيرها من الأملاك والمستعمرات ، ولها وسائلها الخاصة فى اخماد كل نزعة أو حركة حرة ، وفى سحق كل رأى حر

ولكن ذلك لا يمنع أن تكون فرنسا ذاتها بلد الحريات المتطرفة ، بل إن أولئك الذين يسلبون حرية الرأى والتصرف فى بلادهم يجدون فى فرنسا ملاذاً لهذه الحريات

والحرية أسمى ما يتمتع به الانسان ، وأثمن ما تزدان به الكرامة الانسانية ، ولكن التطرف فى فهمها وتطبيقها يخرجها أحياناً عن دائرة المعانى الرفيعة التى قصدت اليها ، وعندئذ تغدو ابتذالاً وخروجاً على النظم والقوانين ، وأحياناً على الحشمة والحياء

وقد وصلت الحريات السياسية فى فرنسا إلى حدود التطرف والاغراق ، ووصلت الحريات الاجتماعية إلى حدود الاباحة والابتذال

وإنه ليكفى أن نتتبع مايقع فى فرنسا كل يوم من مظاهرات واعتصابات عنيفة ، وما يحيط المعارك والمناقشات الحزبية فيها من مناظر الاضطراب والفوضى ، وما تتكشف عنه حياتها ونظمها العامة من ألوان الفساد والضعف فى تكرار الفضائح المالية والسياسية المثيرة ، لنحكم بأن هذه الصورة من النظم الديمقراطية التى تقدمها الينا فرنسا ليست من أفضل صور الديمقراطية وأحبها

وفى وسع السائح المتجول أن يلمح كثيراً من ألوان الفوضى السياسية فى فرنسا ، فى أقوال الصحف وفى مناقشات الأفراد ، وفيما يعرض للبيع من النشرات السياسية والشيوعية التى تسمم الآراء وتذكى الشهوات والأحقاد . ولقد حدث ونحن فى باريس فى الأيام الأولى لاضطرام الثورة الاسبانية أن هب فريق كبير من الصحافة البارزية يتهم الحكومة الفرنسية بأنها ترسل الذخائر والطيارات سراً إلى حكومة مدريد ، وأنها بذلك تزيد نار الثورة ضراما وتعرض السلام للخطر ، فاضطرت الحكومة أن تصدر بلاغا رسمياً تنكر فيه هذه الوقائع ، واضطرت بعد ذلك أن تثير مسألة عدم التدخل فى الحوادث الاسبانية ، هذا بينما انتهزت الدول الفاشستية (ايطاليا وألمانيا) كل فرصة لامداد الثوار بكل صنوف المعاونة فى الوقت الذى لبثت تتظاهر فيه

بقبول فكرة عدم التدخل ؛ وهكذا افسدت الصحافة برعونتها على الحكومة موقفها وسياستها

وفى فرنسا اليوم حزب شيوعى قوى يحتل أربعة وسبعين كرسياً من كراسى البرلمان ، ويبث دعايته فى عدة صحف ونشرات قوية فى مقدمتها جريدة « الأومانتيه » التى أسسها جان جوريس ، ويكتب فيها اليوم أشهر الكتاب والنواب الشيوعيين مثل مارسل كاشان ، وبول لوى ، وفايان كوتربيه ، وموريس توريز وغيرهم

وكثيراً ما سمعنا ، عند ما نشبت الثورة فى اسبانيا ، أن فرنسا قد تضطرم عما قريب بمثل تلك الثورة ، إذا لم تعمل الحكومة لتحسين الأجور وتأمين العمال على حقوقهم ورفاهتهم ، كنا نسمع ذلك فى مقاهى باريس ومطاعمها وشوارعها

* * *

وكما أن الحريات السياسية تتخذ ألوانا من التطرف والافراط فكذلك الحريات الاجتماعية فى فرنسا

ولا ريب أن معظم المجتمعات الأوربية تتمتع بحريات اجتماعية واسعة ، ترجع الى نظام المجتمع ذاته ، والى ما تتمتع به المرأة من حريات مطلقة ، كما ترجع الى روح القوانين ، والى فهم المبادىء الاخلاقية ومعيار الحياء بطرق وأساليب خاصة

ولكن لا ريب أيضاً أن فهم الحريات الاجتماعية يتخذ فى فرنسا ألوانا من التطرف قد لا يسيغها كثير من المجتمعات الأوربية ، كما يتخذ التساهل فى فهم معيار الحياء ألوانا تستهجنها المجتمعات الأخرى

مثال ذلك مناظر العرى التى حدثناك عنها فى مقال سابق ؛ ففى باريس تنتشر مسارح العرى ؛ وتعرض المناظر والرقصات العارية فى أفخم مسارح باريس مثل الفولى برجير والكازينو دى بارى ، ويعلن عنها فى أكبر الصحف مثل الطان والفيجارو والجورنال والماتان وغيرها ، وتعرض أسراب الراقصات العاريات بلاحرج ، ويعتقد القضاء أن هذا الضرب من التمثيل العارى عمل فنى لا اعتراض عليه ، ويتحدث النقدة الفنيون فى الصحف المحترمة عن نجاح مس جوان وارنر « ملكة العراء المطلق » وعن رقصاتها العارية

وفى باريس تصدر مجلات جنسية كثيرة ، ويكتب بعضها بأساليب مثيرة ، وينشر صورا عارية ، واعلانات غرامية هى اتجار مكشوف بالحب ، ولنمثل لذلك بمجلة « فرو فرو » التى ربما كانت أكثر تحفظا من غيرها ، كذلك تعرض الكتب الجنسية بكثرة فى المكاتب ومع الباعة وتلقى رواجا مدهشا

وفى باريس ترى مناظر الحب فى النهار وفى الليل ، فى الشارع وفى الحديقة ، وفى المقهى ، وفى المترو ؛ ومن المناظر العادية أن ترى فتى وفتاة يتبادلان القبلات الحارة وقد أمسك الفتى بخصر الفتاة ، أو يتبادلان العناق المضطرم ؛ ترى ذلك فى أى وقت وأى مكان ، وتراه بنوع خاص فى أقبية المترو ، وفى المترو ذاته ، ولا يمنع ذلك أن يكون وسط الجمهور الحاشد ، والأعين ترمقهما من كل صوب ؛ بل ترى فى أقبية المترو ، فى المنعطفات المستترة أو حين ينسدل الظلام كثيرا من المناظر الغرامية المريبة

وتكثر مثل هذه المناظر المثيرة أو المريبة مساء فى منعطفات مونمارتر وبيجال وكليشى وفى المراقص والحانات الليلية

ولا تختص باريس وحدها بهذه المناظر الاباحية ، فقد رأيت فى الجنوب أثناء انتظارى بمحطة ناربون جماعة رياضية من طلبة الجامعات شبانا وفتيات وقد ارتدى الجميع الثياب الرياضية واشترك الفتيات فى ارتداء السراويل القصيرة التى تترك الساقين عاريين ؛ وفى أثناء انتظار القطار جاءت الفتيات فجلست كل واحدة منهن فى حجر فتى ، وساقاها العاريتان على ساقيه العاريتين وأخذ الجميع ينشدون النشيد الجمهورى ، وقد طوق كل فتى فتاته بلا حرج

ولكن من الانصاف أن نقول إن الطبقات الدنيا هى التى تذهب فى فهم الحب والحريات الاجتماعية الى هذا الابتذال المثير

على أننا نعرف كما يعرف الذين زاروا العواصم الأوربية الأخرى أن رقص العراء المطلق لا يسمح به إلا فى باريس ، وأنه يندر أن ترى فى غيرها من العواصم مثل هذا الابتذال العلنى فى مناظر الحب والغرام ، أو مثل هذه المجلات والكتب الجنسية التى تغمر باريس

وإذا كانت الحريات الاجتماعية فى برلين وفينا مثلاً لا تقل إطلاقا وتسامحاً عنها فى باريس ، فان معيار الحياء يرتفع فيهما

كثيراً عنه فى باريس ؛ ومن النادر أن ترى فى الشارع أو الحديقة أو الترام أمثال هذه المناظر الغرامية المكشوفة التى تراها فى باريس

وإذا كانت باريس قد اشتهرت دائما باللهو الخليع ، فتلك شهرة فى محلها ، وباريس تموج بالملاهى الخليعة من كل ضرب ، وتغمرها بالليل ريح شاملة من المرح الخليع ، ومن الغريب أن هذه الملاهى يعلن عنها بمنتهى البراعة ، وتصور فى اعلاناتها وبرامجها كأنها أروع ما انتهى اليه الفن ؛ فاذا ازدلفت اليها منيت بخيبة الأمل ، ورأيت الابتذال بعينه ، وأدركت ما فى هذه الدعاية الخلابة من ختل وتضليل

* * *

ولقد تحدثوا كثيراً عن سحر البارزية وأناقتها ورشاقتها ؛ ونحن نستميح عشاق العاصمة الفرنسية عذراً ، إذا قلنا إننا لم نستطع أن نكتشف فى البارزية كثيراً من هذا السحر وهاته الأناقة ؛ فالمرأة البارزية تعتمد فى جمالها وسحرها على المظاهر والصناعة أكثر مما تعتمد على الحقيقة ؛ وهى تكثر من صباغة الشعر والأظافر وتفرط فى استعمال المساحيق ؛ والشقرة هى لون الشعر المحبوب فى باريس ، ولكنها شقرة صناعية فى الغالب ؛ والواقع أن البارزية لا تتمتع بذلك اللون الوردى الباهر الذى تتمتع به الانكليزية أو النمسوية مثلاً ، بل يغلب عليها اللون الثلجى أو اللون الباهت ، فتعمد فى تجميله إلى الصناعة ؛ ويبدو عناء التجمل فى وجهها دائماً ؛ وأما عن الأناقة فان البارزية لا تتمتع منها بقسط كبير ، فهى تميل إلى الأزياء المعقدة أو الغريبة ، وتكثر من الألوان بلا تناسق ؛ والخلاصة أن البارزية تعشق المظاهر ، وتفرط فى التجمل ، وتعتمد على الصناعة ؛ بيد أنها تتمتع مع ذلك بخفة روح لا شك فيها

وإن أولئك الذين عرفوا فينا وباريس معاً ، يعرفون كم تحوى فينا من الجمال النسوى الرائع ، وأى صباحة ورشاقة وأناقة طبيعية تتمتع بها الفتاة النمسوية ، وأى فرق شاسع بين هذا السحر الطبيعى وبين ذلك السحر الصناعى الذى تلجأ إليه البارزية فى تكلف وعناء

ويصح أن نشير هنا إلى مسألة الصحة العامة والنظافة الشعبية ، فقد لاحظنا أن الصحة العامة ليست فى أوجها ، وأن الشباب لا يتمتع بكثير من النضرة ومظاهر القوة والفتوة ؛ وتبدو مظاهر السقم والعناء على وجوه الطبقات العاملة من رجال ونساء ؛ وقد لاحظنا فوق ذلك أن هذه الطبقات وربما بعض الطبقات الوسطى أيضاً لا تعنى كثيراً بمسألة النظافة ؛ وإنه ليكفى أن تركب المترو ظهرا أو مساء حين يكتظ بالعمال والمستخدمين لتدرك هذه الحقيقة ، ولاتشذ عن ذلك أسراب الفتيات الحسان ؛ وربما كان فى ظروف حياة هذه الطبقات ما يفسر هذه الظاهرة ، فالنظافة تحتاج الى كثير من النفقة ، والاستحمام فى باريس ترف يصعب على الفقراء الاكثار منه ؛ وفى الفنادق المتوسطة قد يكتفى بغرفة حمام واحدة فى طبقات الفندق كلها ؛ والغرفة ذات الحمام الخاص ترف رفيع لا يسمع به إلا فى الفنادق الارستقراطية ؛ وهذه حقائق لا يصعب على السائح اكتشافها

* * *

والى هنا نقف فى حديثنا عن باريس وعن الحياة البارزية والمجتمع البارزى ؛ ولقد قلنا فى بدء هذه الفصول إننا لا ندعى الوصول إلى أعماق المسائل والشؤون ، وإننا إنما ندون حقائق وملاحظات انتهينا اليها بالتجوال والمشاهدة ، وأحيانا بالتجارب والدرس ؛ وقد حفزنا الى كتابة هذه الفصول ما سبق أن نوهنا به فى البداية وهو أننا ما زلنا نقرأ بالعربية عن فرنسا وعن باريس كتبا وفصولا يطبعها الاغراق والمبالغة فى التغنى بمحاسن العاصمة الفرنسية وكل ما فى الحياة الفرنسية ؛ وها نحن أولاء قد حاولنا بهذه الفصول المتواضعة أن نقدم بعض الحقائق والصور حسبما رأينا وشعرنا بعيدا عن كل إغراق ومبالغة ؛ وربما كانت باريس بالأمس أعظم فتنة وأشد سحرا منها اليوم ، وربما فقدت العاصمة الفرنسية كثيرا من هذا السحر بفعل الظروف والتقلبات الاقتصادية والاجتماعية ، ولكننا نصرح مخلصين أننا لم نشعر أن لباريس هذا السحر الفياض الذى ينسب لها ، أو أن لها تلك الفتنة التى أملت على كثير من كتابنا تلك الفصول الوردية الرنانة . هذا ومما يبعث الى الغبطة أن كثيرا من الأصدقاء البارزين الذين عرفوا باريس وعرفوا حياتها ومجتمعاتها أكثر مما عرفنا ، يقرون كثيرا من هذه الصور التى قدمناها والملاحظات التى أبديناها

(يتلى) (***)

في الأدب المقارن

الخــــرافة

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

تفشو الخرافة — وهي الاعتقاد بالمستحيل عقلاً — بين الجماعات الأولية، حتى تشمل دياناتهم وعلومهم وفنونهم القليلة، وعرفهم وتقاليدهم، لأن تلك الجماعات في نشأتها كالطفل في صغره، قليلة الادراك للأسباب والمسببات، سريعة الانقياد للعواطف والأوهام والمخاوف، فلا تلبث أن تنمو بينها شتى الأساطير، تفسر بها قوى الطبيعة ومظاهرها، وتمجد بها أسلافها، وتدعم كيان مجتمعها. هكذا كان لقدماء المصريين خرافاتهم المتعلقة بواديهم ونهرهم، وآلهتهم وفراعنتهم؛ وكانت لليونان والرومان أساطيرهم التي تدور حول أعمال آلهتهم وحروبها، وحبها وغضبها

وكانت للعرب خرافات شتى، انتزعت من حياتهم البادية، وما توحي إلى النفس من رهبة وبأس، بفلواتها وحزونها، وسباعها وأنوائها، وحيكت حول الآلهة والجن والغيلان، وحول أبطالهم وملوكهم وغابر دولهم، وتناولتها الأجيال المتعاقبة بالزيادة والتهويل، والتغيير والتبديل، في حوادثها ومشاهدها

وكانت للانجليز في عهود همجيتهم أساطير متشعبة، مشتقة من حياة أهل الشمال، المضطربة بين ظلمات الأحراج ومتون البحار، حافلة بأخبار هجراتهم وغزواتهم، ممتلئة بأوصاف شياطين البر والبحر، ممجدة لبلاء ملوكهم أمثال الملك أرثر، وألفرد الأكبر، في دفع هجمات المغيرين الذين تعاوروا الجزيرة على كر العصور، من رومان وسكسون ونورمانديين؛ وتمازجت أساطير كل هؤلاء، واختلط مسيحيها بوثنيها، وجنوبيها بشماليها

والخرافة على ما بها من مجاوزة للمنطق وتهويل وتحريف واستحالة — لا تقل عن حوادث التاريخ صدقاً في وصف أحوال المجتمع الذي هي وليدته، والبيئة التي هي نتاجها؛ فالخرافة العربية التي نمت في البادية، مثلاً، ملأى بذكر الغيلان والسعالي والعنقاء، وبأسماء العدّائين الذين يسبقون الظباء، والحديدي النظر الذين يرون القادم والمغير من رأس أميال، كزرقاء اليمامة. والخرافة الانجليزية التي ترعرعت في الغابة ودرجت على أثباج اليم حافلة بحكايات عرائس الغاب وآلهة البحار، ومناظر الغسق والضباب

على أن الخرافتين تلتقيان، والمخيلتين تتقابلان في نواح، حتى لتخال إحداها صدى للأخرى أو محاكاة لها، لولا بعد الأمتين في تاريخهما بعداً يحول دون كل محاكاة أو اقتباس؛ فأخبار تأبط شراً، وسليك بن السلكة وأشباههما من شذاذ العرب وطريدي العرف والمجتمع، مماثلة لحكايات روبن هود وأصحابه الذين كانوا يعيشون على اقتناص الظباء في غابات ملك انجلترا؛ وقصة مقتل أحد أقيال اليمن على يد أخيه الطامع في عرشه، التي وردت في كتب الأدب العربي وروى فيها شعر لشاعر يدعى ذا رُعَيْن، منه قوله:

فأما حِمْيَرٌ غدرت وخانت فمعذرة الإله لذي رعين

واستشارة الخائن للعرّافين قبل اقتراف جريمته، والخدعة الحربية التي لجأ اليها جيش ابن الملك القتيل من استتار كل مقاتل بشجرة اقتلعها في طريقه وحملها أمامه، حتى بدا الجيش كأنه غابة تسير؛ كل ذلك مشابه للحوادث التي اتخذها شكسبير موضوعاً لروايته ما كبث، والتي تدور حول مصرع بعض ملوك اسكتلندا، وهي بلاد تشبه بوعورتها واستقلالها وبأسها وتأثيرها في عقول أهل انجلترا، حالة اليمن في جزيرة العرب؛ وقد عبثت الخرافة بكلتا القصتين ونمقتهما بمظاهر السحر والتنبؤ بالغيب

حتى إذا ما ارتقت الجماعة البشرية، وأخذت بأسباب العلم الصحيح، وعرفت الفلسفة المنطقية، واعتنقت ديناً راقياً، فترت حماستها لخرافاتها القديمة، وقلّ تصديقها لها، وسخر منها العلماء والفلاسفة والأتقياء، وهبطت إلى طبقة العامة، فوجدت فيهم وحدهم أمناءها الأوفياء، يتوارثونها كما توارثها آباؤهم من قبل، وتروى من نفوسهم ما لا تروى العلوم الجافة، فهم يؤثرونها على تلك العلوم، ويمزجون رواياتها بحقائق العلم

تارة ، ويخلطون عقائدها بعقائد دينهم الجديد الراق تارة أخرى

على أن أكثر الأمم ، كاليونان والرومان وأمم أوربا الحديثة ، حين بلغت طور نضجها العلمي والديني ، لم تنبذ خرافات طفولتها ظهرياً ، وإن بطل تصديقها برواياتها ، وذهب إيمانها بخوارقها ومعجزاتها ، ولكنها اتخذتها غذاء دسماً للعلم والفن ؛ فجعلها العلم موضع فحصه وبحثه وتنقيبه ، وأقامها مقام الشك حتى تثبت البينة على ما فيها من بذور الصدق ؛ واستمد منها النحت والتصوير والشعر والنثر مادة لا تفنى للتفنن فى الوصف والتأمل والتجوال فى مشاهد الحياة ومرامى التاريخ ومنازع النفس الانسانية

ذلك أن أكثر تلك الخرافات — على ما بها من وهم ومغالاة — تحوى ما لا يُحصر من صفات الجمال ومظاهر الروعة ، ودلائل العظمة ، وأحاديث البطولة والمخاطرة التى يغرم بها الطبع الانسانى ، وصور الفضائل والرذائل ، التى يرتاح الانسان إلى رؤيتها مصورة معروضة ، كما أن تلك الخرافات ، بما تقص من وقائع بعيدة العهد وتعرض من مشاهد نازحة المزار ، تروى فى النفس حب البعيد والشغف بالماضى القديم والولوع بالمثل الأعلى ، وهى النزعة التى تعرف فى الانجليزية بالرومانس ؛ زد على ذلك أن استعارة مشاهد تلك الخرافات ووقائعها وأسمائها فى الوصف ، يكسب التشبيه قوة ووضوحاً . فما أجود قول امرئ القيس ، وليت الشعراء أكثروا الضرب على وتيرته :

أيقتلنى والمشرفىُّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال ؟

لذلك حفل الأدب الانجليزى بالخرافات الانجليزية ، وما تحوى من جسائم الأعمال وبدائع الصور ، كحروب الملك أرثر ومغامرات فرسان المائدة المستديرة ، تلك التى كانت وحياً لسبنسر وتنيسون فى أجود قصيدهما . ولم يكتف الأدباء بخرافاتهم الوطنية ، فاصطنعوا خرافات اليونان والرومان ، وتحدثوا طويلاً عن آلهتهم واقتبسوا كثيراً من الالياذة والأوديسة ؛ وزاد غيرهم فاستعاروا خرافات كل من عرفوا أو سمعوا عنهم من أمم الغرب والشرق : فاتخذ ملتون لقصيدته الكبيرة سمسون الجبار موضوعاً عبرانياً ، وتحدث تنيسون عن هارون الرشيد ، وطار كولردج على جناح الخيال إلى قصر قبلاى خان عاهل الصين . أما شكسبير فاستعار مواضيع رواياته من كل ما أصاب من تراث الأمم لا فرق بين تاريخيها وخرافيها ، ورصعها بما كان لا يزال يساور أهل جيله من اعتقاد فى عجائب السحر والمعجزات

ومن الأدباء من لم يكفه كل هذا المدد الزاخر من غرائب الأساطير وأفانين خيال الأقدمين ، فأطلق لخياله هو نفسه العنان ، وابتكر مواضيع لقصائده من صنعة الوهم ، وحلاها بروائع الصور وممتع الخطرات ، كما فعل كولردج فى خريدته الملاح القديم ، وبروننج فى فريدته تشايلد رولاند ، وتوماس هود فى أنشودته أينس الحسناء ، وكما صنع سويفت فى كتابه العالى الصيت « رحلات جليفر »

ألفى أدباء الانجليزية فى أرجاء تلك الخرافات ، مجالاً رحباً لفنهم وخيالاً ، وتحريراً لأفكارهم من عقال الحقائق المتحجرة ، وغذاء لعقولهم الجوالة فى مظاهر الكون وشـؤون الخلق ، المستطلعة إلى المجهول ، ووسيلة لتصوير المناظر الطبيعية ، بين جبال ووهاد ، وغياض ومياه ، ورصعوا أشعارهم فى كل ذلك وكتاباتهم بأشتات الآراء ، فى المسائل التى كانت تشغل أذهان معاصريهم ، ولوَّنوا خرافات الأجيال المتقادمة بألوان أجيالهم ومجتمعهم الذى عاشوا فى مضطربه

أما موقف العرب من خرافات أسلافهم — حين اعتنقوا دينهم الحنيف وتحضروا وتثقفوا — فكان غير هذا : فقد أعرضوا عنها ترفعاً وازدراء ، ولم يحفظوا منها إلا ما كان أشبه بالصدق ، وما دار حول يوم عظيم من أيامهم ، أو شاد بمجد بعض قبائلهم . وفى تلك الحال كانت الروايات تُختلق اختلاقاً ، ويُبذَل الجهد لوسمها بميسم الصدق . ولما اطلع العرب على ثقافات الأمم الأخرى من يونان وفرس وهند ، لم يهتموا إلا بما صدَّقوه من تواريخهم ، وما استملحوه من حِكمهم وأمثالهم ، ولم يَعِنَّ لأحد من الأدباء أن يستخدم الخرافة مادة لفنه ، أو يستعير ما فيها من جمال وروعة ليفيد بهما أدبه

وغاية ما يذكر فى هذا الباب ، أن بعض الأدباء — كابن دريد أطلق لخياله شيئاً قليلاً من الحرية ، ومضى يخترع الروايات والنوادر ، يفسر بها بعض الأمثال السائرة المنحدرة من عهود الجاهلية ، كقولهم « عند جهينة الخبر اليقين » ، و « الصيف ضيعت اللبن » ، و « جزاء سنمار » ؛ وقد أخرج من صنعوا ذلك أحاديثهم مخرج الحق ، وأسندوا بعضها ، كى يضمنوا لها الرواج بين المتأدبين ، كما أن أصحاب المقامات الذين أسلسوا لخيالهم

العنان قليلاً حرصوا على ألا يبعدوا كثيراً عن حيز الامكان ، لئلا يُعرض عنهم أولو الألباب

ذلك بأن العرب كانوا شديدى الحرص على العلم الصحيح حيث ثقفوه ، موكلين بالصدق التاريخى ، زاهدين جدا فى الأساطير وجمحات الخيال ، وهو خلق أورثهم إياه دينهم منذ اعتنقوه ، فانه وإن أثبت وجود الجان وائتمارهم بأمر سليمان ، واستماع نفر منهم إلى القرآن ، قد أوسع أساطير الأولين سخراً واستخفافاً ؛ وكثيراً ماجمع بينها وبين الشِرْك ، وهو قد جَبَّ ما قبله مما هو شبيه بالكفر والزيغ ، ودعا المؤمنين إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وطلب العلم الصحيح ، فلا غرو أن زهد المسلمون فى تخريف الجاهليين وأوهامهم ؛ وقد زادهم نفرة من الأساطير ومختلق الأقاصيص ما تنبهوا اليه من جرأة بعض الدخلاء والمغرضين على الأحاديث النبوية ، يخترعونها ويفسرونها بما تمليه أهواؤهم

زد على ذلك أن الاسلام قد حرم الخمر ، وهو تحريم راعته أغلبية الأمة ، وإن تجاوزه بعض الشعراء ، بل الخلفاء والكبراء . وهذا الامساك عن المسكر قد كسب الأمة عامة صفات التؤدة والصحو والتوقر والاحجام عن مجاراة الخيال ، والتحليق فى فضاء الأوهام ؛ وطبيعة بلادهم ذاتها تبث هذا الصحو فى طبائعهم ، فانها فى الغالب مصحية سريعة التحول من وضح النهار إلى حلك الظلام ، لا تطول بها كما تطول فى البلاد الشمالية فترات ذلك التحول ، من غلس وغسق ، ولا يكثر بها انتشار الضباب الذى يحجب الأشياء إلا أشباحها ويوقع فى النفس التوجس والوهم ، والخرافة الانجليزية حافلة بتلك المشاهد بين غلس وغسق وضباب

كل ذلك جعل مثقفى المسلمين سريعين إلى إنكار الخوارق ونبذ الاغراب والسخرية من المغربين ، فدعبل الخزاعى مثلاً يهزأ مليًا بنفر من قبيلته ذاتها زعموا أن أحد أجدادهم حادث ذئباً ، فهو يقول :

يَهِتُم علينا بأن الذئب كلمكم فقد لعمرى أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث الهصور؟ إذن أفنيتم الناس مأكولا ومشروبا

ومن جهة أخرى لم يحس أدباء العربية كبير حاجة إلى ذلك الضرب من الأدب ، تحفزهم إلى التأول فى الدين وتمييز ما نهى عنه مما لم ينه ، فهم لم يكونوا شديدى الولع بتقصى مناظر الطبيعة وتصورها ، فيتوسلوا للتفنن فى ذلك بالطيران على أجنحة الخيال إلى شتى المناظر والأودية والشطآن ؛ ولا كانوا شديدى التوفر على نقد أحوال عصورهم السياسية والاجتماعية ، فينتزعوا لذلك الصور من خرافات الأقدمين مماثلة لصور مجتمعهم ؛ أضف إلى ذلك ما لازم الأدب العربى دائماً من نزعة محافظة وولع بمحاكاة بدائع المتقدمين ، ولعاً لا طموح معه إلى تجديد شديد المباينة لمناهجهم فى الأدب

تلك هى العوامل التى صرفت أدباء العربية عن الاحتفال بالأساطير ، وجعلتهم جميعاً يسلكون الطريق « المباشر » للافصاح عن خواطرهم ، طريقة القصائد المتوسطة الطول ، والأبيات المحكمة الموجزة ، ورائدهم قول قائلهم :

وإنَّ أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته : صدَقا

وقد رُوى أن سهل بن أبى غالب صنَّف كتاباً فى سير الجن وأحوالهم ورفعه إلى الرشيد ، فقال له الخليفة : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجباً ، وإن كنت اخترعت ما رأيته فقد وضعت أدباً . ولكن أحداً من معاصرى ذلك المؤلف أو من جاءوا بعده لم يحفل بهذا الضرب من الأدب ، وأهمل الكتاب حتى ضاع

أُقصيت الخرافة عن حظيرة الأدب العربى ، وتُركت للعامة يخففون بالاستماع اليها أعباء عيشهم ، ويُسرُّون بالانصات إلى مغامراتها ومصاولاتها هموم حياتهم المتشابهة الرتيبة ، ويلونها لهم القُصّاص بألوان الدول المتعاقبة والأحوال المتوالية ، وتنفث فيها السياسة أحياناً أغراضها ، حتى أتيح لها مَنْ دوَّنها فكان منها أقاصيص ألف ليلة وليلة ، وعنترة ومهلهل ، وسيف بن ذى يزن ، وقد اطلع عليها بعض أدباء العربية فى العصر الذى دُوِّنت فيه فاستخفوا بها ونبذوها

بيد أن تلك الأقاصيص على عاميتها وركاكة أسلوبها ، وفحش بعض مواقفها ، تحوى من روائع الوقائع ، وجميل المناظر ، وآثار الخيال ، ما يعوز الأدب العربى كله ؛ وبفضل ما فيها من روعة وجمال وخيال قد نالت الخلود وحظيت بالشهرة والترجمة إلى شتى اللغات ، وأعجب بها من الغربيين من لم يسمعوا بحِكَم المتنبى ، وأمثال الطائى ، وبديع ابن المعتز

فخرى أبو السعود

الدكتور ألفرد بتلر

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

نعت لنا الأخبار منذ قليل المغفور له الدكتور ألفرد بتلر المؤرخ الانجليزى الكبير والعالم بالآثار المصرية

وقد كان ذلك الرجل العظيم انجليزى الجنس واللغة ، ولكنه كان مصرى العقلية عربى الثقافة ؛ قضى الشطر الأكبر من حياته منصرفا إلى دراسة الحياة فى وادى النيل وتاريخ حضاراتها الغابرة ، حتى لقد قيل إن عاطفته كانت فى قرارتها مصرية ، فكانت آخر أنفاسه متجهة إلى النيل ، وآخر أمنياته منصرفة إلى التملى به وتنسم نسماته

وقد كان ارتباطه الروحى والعقلى بمصر وواديها داعياً إلى أن تكون كل آثاره العلمية مرتبطة بها ، فليس له مؤلف لا يتصل بمصر وتاريخها وآثارها ، وكان همه الأكبر منصرفا إلى تلك الفترة التى تتعسر دراستها على الأكثرين ، وهى فترة الحكم الرومانى الأخير وأول العصر الاسلامى ، فألف كتاباً فى الأديرة والكنائس المصرية ، وكتاباً آخر فى تاريخ الفتح العربى لمصر ؛ ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ مصر فى هذه الفترة مدين أكبر الدين لهذ المؤلف الكبير ، إذ لولا دراسته العميقة وعقله الكبير وعلمه الواسع لظلت هذه الفترة من أظلم فترات تاريخ هذه البلاد

لقد فقدت مصر استقلالها على يد الرومان بعد أن استولى عليها قيصر وذهبت دولة البطالسة عنها، ودخلت منذ ذلك العهد فى دائرة الدولة الرومانية الكبرى ، واختفى تاريخها فى غمار تاريخ الدولة المتبوعة ، وما زالت بعد ذلك تنحدر على جوانب الحوادث من هوة إلى هوة كما تنحدر البلاد التابعة المغلوبة فى كل عصور التاريخ ، وغطت على صورتها ركام من آثار المظالم والمهانة والاضطراب

فاذا كان الدكتور بتلر قد استطاع أن يستخرج صورة مصر فى تلك الحقبة من طبقات تلك الركام ، فقد أدى أكبر خدمة لأبنائها ، فليس من الهين أن يستطيع باحث الوصول إلى مثل هذا الكشف ، ولا سيما إن كان يحيط بعمله الظلام والابهام وتقادم العصور

على أن ظلام تلك العصور التى جلاها الدكتو بتلر لم يقتصر أثره على إخفاء معالم تاريخ البلاد ، بل لقد أدى إلى نتيجة أشد ضررا وأقسى وقعاً ؛ وذلك أنه قد نشأت فى هذه الأثناء قصص لا أساس لها وخرافات من خلق الخيال والجهل وجهت الباحثين إلى وجهة مضلة جعلت التاريخ يظلم أهل مصر فى تلك العصور ، فيصمهم بأقسى الوصمات والتهم ، وكان للدكتور بتلر فضل اظهار الحق وإعادة الكرامة المصرية إلى ذكرى أهلها

ولما فتح العرب مصر كانوا لا يعبأون بغير الفتح فى أول فورة التوسع والنضال ، وما كانوا يخرجون من حرب إلا ليدخلوا فى غمار حرب جديدة ، ولم يكن لهم سجلات عند ذلك يقيد بها تسلسل الحوادث ولا يثبت فيها وصفها ، فلم يكن بد من أن يلجأ المؤرخون فى القرون التالية إلى روايات المحدثين وقصاص الأخبار ؛ وكان المؤرخون يبذلون فى التحرى عن أخبارهم جهد المستطاع ، ولكنهم مع ذلك كانوا لا يجدون مناصاً من تلقفها من أصحابها واسنادها إلى أصحابها تخلصاً من عبء الأمانة ، ولهذا صار تاريخ الفتوح العربية خليطاً من الأخبار والقصص والروايات ؛ فاذا أراد باحث أن يتتبع سلسلة من الحوادث وجد نفسه حيال ابهام شديد وغموض يسد عليه السبل ؛ ثم تتابعت العصور على هذه الأخبار فتناولها الباحثون وتصرفوا فيها واستخدموها فى تآليفهم بالزيادة والنقص والتصرف ، حتى صارت الأخبار الصحيحة مختفية تحت طبقات أخرى من الركام المتخلفة من العصور المتعاقبة

فاذا نظرنا إلى عمل الدكتور بتلر نظرة عادلة عرفنا مقدار خدمته لتاريخ مصر ، إذ استطاع أن يستخرج تاريخ العصر الرومانى فى مصر أولاً ، وأن يصفى أخبار العصر العربى الأول مما شابه من القذى والصدأ . ولقد كان عمله عظيما فى نواح متعددة لا نستطيع هنا حصرها . على أننا نضرب مثلاً أو مثلين منها :

نشأت خرافة سخيفة فى العصور المتأخرة من التاريخ الاسلامى وهى خرافة إحراق العرب لمكتبة الأسكندرية عند

ما تم لهم فتحها ، ولسنا ندرى على سبيل التحقيق ما هى الخطوات الأولى التى أدت إلى خلق تلك الخرافة ، ولكن أحد المؤرخين أوردها فى بعض مؤلفاته فرددها من جاء بعده ، وما زال صداها يتردد بعد ذلك حتى صار الناس يتلقونها بغير تمحيص ويوردونها موارد الحقائق الثابتة التى لا يرون ضرورة لمناقشتها ؛ واتخذ أهل الأغراض تلك الخرافة وسيلة يتوصلون بها إلى الحط من شأن المدنية العربيــة والغض من الذكاء العربى . وأى وسيلة أنجع فى الدعاية على العرب والاسلام من أن يذكر اسم مكتبة الأسكندرية العظمى ويقال إن العرب قد أحرقوا تلك الثروة الفكرية النادرة وأبادوا بذلك ما خلفته أذهان النوابغ فى كل العصور القديمة ؟

ولقد كان للدكتور بتلر الفضل الأكبر فى أنه تتبع أثر تلك المكتبة كما يتبع الرائد آثار الأقدام وهو هادئ النفس مطمئن العين حتى أظهر لأهل القرن العشرين تقلب القرون الماضية على تلك المكتبة وبين لهم ما آل إليه أمرها على يد قيصر ثم على يد أحزاب المسيحية الأولى المتحمسة التى دفعتها حماسة الدين أو سورة العصبية إلى القضاء على ذلك الأثر العلمى النفيس

ولقد حمد المنصفون للدكتور بتلر ذلك المجهود العظيم فى إظهار الحق والابانة فى نصرته ، وكان من بين هؤلاء المنصفين اللورد كرومر إذ كتب إلى ذلك المؤلف خطاباً خاصاً جاء فيه : « لقد قضيت القضاء الأخير على تلك الخرافة السخيفة ، خرافة إحراق العرب لمكتبة الأسكندرية »

ولعل الدكتور بتلر أول من حاول محاولة منتجة أن يكشف القناع عن شخصية لم تزل منذ بدء الاسلام مثار التساؤل والابهام ألا وهى شخصية (المقوقس) فانه استطاع بعد جهد عظيم وبحث علمى يكاد يكون معجزاً أن يبين للناس من هو ذلك الرجل أو من هم هؤلاء الذين أطلق عليهم ذلك الاسم . ولم يكن فى بحثه يدع ثغرة للأبهام ولا للشك ، بل كان ينخل الحقائق ويصفيها حتى لا يتسرب إليها فى أثناء البحث ما يشوبها

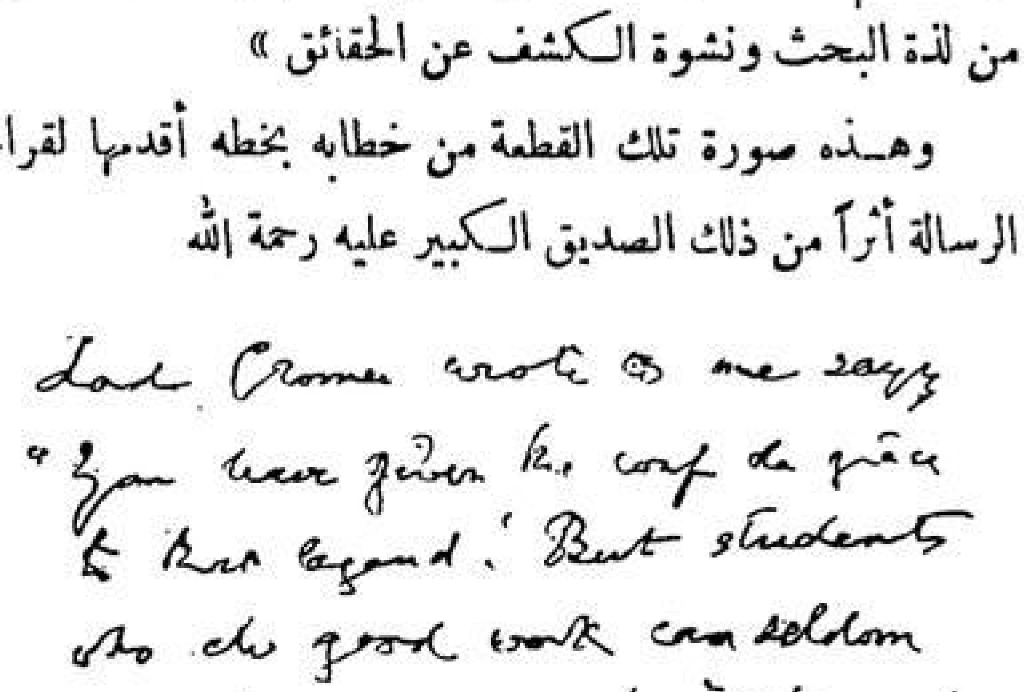
ولقد كان من أكبر آماله أن يرى كتابه منقولاً إلى لغة العرب ، ولكن ذلك الأمل قد طال العهد به حتى بلغ نيفاً وعشرين عاماً ، ثم توفقت لجنة التأليف والترجمة والنشر إلى ترجمته ، فلما بلغه نبأ ذلك الحدث كان اغتباطه به أشد اغتباط حتى إنه لم يتمالك أن لام المصريين فى خطاب بعث به إلى بعض أصدقائه على أنهم لم يعنوا بنقل ذلك الكتاب من قبل مع أنه كتاب يخدم تاريخهم ويسد فيه فراغا عظيما

وكان الدكتور بتلر فوق خدمته لتاريخ مصر كثير العناية بما يهمها . ولقد أرسل إليه صديق كتابا مرة يشير فيه إلى ما جاء فى كتابه « فتح العرب لمصر » من أن قبر سيدنا عمرو ابن العاص غير معروف ، وأن ذلك الصديق ذكر له أن ذكر قبر ذلك الرجل العظيم وارد فى بعض المؤلفات العربية وأنه بجوار مدفن سيدنا عقبة بن عامر بالقرافة الصغرى

فأثار ذلك النبأ حماسة الشيخ الانجليزى فأرسل إلى صديقه يقول : « لئن صح أنك استطعت معرفة مكان قبر عمرو بن العاص واستطعت التثبت من ذلك بالوسائل العلمية التى لا تدع مجالاً للشك ، فما أحراك أن تثير فى الناس دعوة لاقامة أثر عظيم على ذلك القبر جدير بعظمة فاتح مصر الكبير »

ولا أجد لهذه الكلمة خاتمة خيراً من أن أقتطف قطعة من الخطاب الذى أرسله إلى صديقه يذكر له فيه ثناء اللورد كرومر عليه ، وقد جاءت فى تلك الكلمة حكمة بالغة أحب أن أسوقها لأهل البحث والعلم . قال : « ولكن أهل البحث الذين يجيدون فى أعمالهم قلما ينتظرون ثوابا على عملهم ، اللهم إلا ما يجدون فيه من لذة البحث ونشوة الكشف عن الحقائق »

وهـذه صورة تلك القطعة من خطابه بخطه أقدمها لقراء الرسالة أثراً من ذلك الصديق الكبير عليه رحمة الله


Lord Cromer wrote to me saying "You have given the coup de grâce to the legend." But students who do good work can seldom expect any reward for it beyond the pleasure of the study and the joy of discovery.

محمد فريد أبو حديد

الخطابة ملكة وفن

للأستاذ عبد المجيد نافع

يولد الانسان خطيباً ، كما يولد شاعراً أو فناناً ، أو عسكرياً أو سياسياً ؛ وتلك الملكة ، وهى وليدة الفطرة ، لا تنمو وتؤتى ثمارها إلا بالمران والصقل ؛ فالخطابة إذن موهبة وفن معاً ، فلا يسيغ العقل أن يكون المرء عاطلا من الموهبة الخطابية ثم يصبح بين عشية وضحاها من الخطباء الخالدين فى التاريخ ، كما لا يهضم الفكر أن يكون الانسان خطيباً موهوباً ثم يصبح بين بياض يوم وسواد ليلة من الخطباء المعدودين دون درس وتحصيل ومران . ولقد يحلو لبعض المؤرخين أن يرسم صورة لخطيب مفوه كان فى حداثته خلواً من ملكة الخطابة ، بل يصورونه فى طفولته مثال الفهاهة والعى ، ثم يصيرونه فى رجولته الخطيب المصقع ، والمفوه المنطيق ! فقد زعموا أن « ديموستين » خطيب اليونان المظيم كان فى حداثته به عى وفهاهة ، فطمح إلى الخطابة وصحت عزيمته على مغالبة ذلك النقص والتغلب عليه ، فكان فى كل يوم يذهب إلى البحر فيملأ فمه بالحصى ، ثم يقف أمام الموج المضطرب المصطخب ، فيصيح الصيحات العالية ، وما لبث أن تغلب على الفهاهة والعى وبات فى طليعة الخطباء القادرين ! تلك صورة أدنى إلى خيال الشعراء منها إلى تحقيق الثقات من المؤرخين ، بل لعلها أسطورة من الأساطير التى تحيط بحياة عظماء الرجال عادة ، أو التاج الذى يضعونه على رأس البطل ، أو إكليل الغار الذى يضعونه على هامته ، أو هالة المجد التى يحيطون بها تاريخه . فقد يكون صحيحاً أن الخطيب اليونانى كان يقف حيال الموج المصطخب فيرسل الصيحة عالية ؛ على أن العقل لايسلم بأنه كان عيِيًّا ، وكل ما يستطاع التسليم به أنه كان يروض نفسه على الكلام بنجوة من الناس

وقد تبقى ملكة الخطابة دفينة إذا لم تتح الظروف لبعثها ؛ وقد يظل الخطيب الموهوب خاملاً مغموراً إذا لم يوجد أمامه الميدان الذى تتجلى فيه مواهبه ، ولولا الثورة الفرنسية ورغبة الفرنسيين فى ثل عرش الاستعباد ، وكسر قيود الاستبداد ، وتقويض دعائم الماضى وتشييد صروح المستقبل وهدم النظم العتيقة البالية ، وبناء النظم الدستورية الحديثة ، وغرس مبادئ الحرية والمساواة والأخاء — لولا ذلك الغليان الفكرى لما ارتفع « ميرابو » من غمرة الخمول إلى ذروة الشهرة والمجد . وما كان الزعيم الشاب مصطفى كامل لتتجلى مواهبه الخطابية ، فيلقى بالاسكندرية فى عام ١٩٠٧ خطابه الذى يعد برنامجاً وطنياً ، لولا رغبة المصريين فى الجلاء وتشييد صروح الاستقلال ؛ بل لولا ثورة عام ١٩١٩ ورغبة الشعب المصرى فى تقرير مصيره بنفسه ، ما بات سعد زغلول الخطيب الخالد فى التاريخ

ولا مندوحة لمن ينشد الكلام أن يدرع بالعلم ، فالخطيب ينبغى له أن يعلم ما يقول ، وأن يعلم جمهور سامعيه منه جديداً ، وإلا عُدَّ من تجار الكلام لا من الخطباء ، وكان قوله ثرثرة لا طائل تحتها ولا غناء فيها ، لا خطابة تحق حقاً وتبطل باطلاً ، وتنصر دعوة وتخذل أخرى ، وتبث مبدأ قويماً وتكافح غيره فاسداً

إن الخطيب الذى يقرأ شعر الشعراء ونثر الناثرين وخطب الخطباء ، ويكون على اتصال روحى بالحركة العلمية والأدبية ، لهو الخطيب الذى يعرف كيف يضفى على فكرته الثوب الذى يلائمها ويأتى بالصور الأخاذة والعبارات الخلابة والآراء الناضجة ويملك شعور سامعيه

والخطيب الذى لا يُعنى دائماً بتجديد ثروته العلمية واللفظية خليق ألا يسمع الناس منه إلا الرأى المبتذل ، والفكرة الغثة التافهة ، والعبارات الممجوجة المملولة

على أن الاسراف فى المطالعة يوشك أن يصيب المرء بنوع من الشلل العقلى ، وإن شئت فانه يصيب الذهنية الخصبة بضرب من الاجداب والامحال ، فمن يفكر برأس غيره دائماً ، وينظر بغير عينه ، ينتهى أن تشل حركة تفكيره فلا يفكر ولا يرى . ومن ير العالم من ثنايا الكتب يعش رجلاً خيالياً لا يدرك من شؤون العالم شيئاً . ومن لا يقتصد فى المطالعة خليق أن يداخله اليأس فيهتف : ليس فى الامكان أبدع مما كان ! وينادى : لا جديد تحت الشمس ، ويصيح صيحة اليأس : ما ترك الأوائل للأواخر شيئاً !

والحق أن الأوائل خاضوا فى كل شيء ، على أنهم تركوا

للأواخر كثيراً ، ومن يذهب غير هذا المذهب فانما ينكر حركة التطور العقلى والفكرى فى العالم

ومن الناس من يلتهم الكتب التهاماً دون تفهمها والتغلغل فى روحها ، وخير من هذا للخطيب الطامح أن يطيل النظر فى خطب الخطباء فيتذوق الأثواب التى يسبغونها على آرائهم ، بغير أن يتعسف فى محاكاة طرائقهم فلكل خطيب شخصيته وأسلوبه فى عرض أفكاره

ويجمل بمن يأنس فى نفسه الاستعداد الخطابى أن يستمع إلى كبار الخطباء ليشهد وسائلهم فى بسط آرائهم واقناع جمهور السامعين

ومن نافلة القول أن يلفت الخطيب إلى وجوب تفهم نفسية الجماعة التى يوجه اليها الخطاب ليتولى اقناعها ، فالخطب البرلمانية تفترق عن المرافعة فى مجلس القضاء ، والكلام فى اجتماع انتخابى يختلف عن التحدث إلى مجمع علمى ، على أن الخطيب الموهوب مطبوع على فهم روح الجماعة التى يخاطبها

وفى كل حال ينبغى أن يتوفر فى كل خطاب عناصر وضوح الفكرة وترتيب المنطق وروعة الأسلوب ، ولكن التأنق فى العبارة لا ضرورة له على الاطلاق ، بل قد يأتى التزويق والتنميق هادماً لدعوى الارتجال الخطابى ، والجمهور لا يتعنت فيطالب الخطيب بما يطالب به الكاتب ، والأسلوب الذى يخلو من الكلفة والصنعة يكون أفعل فى النفوس من الأسلوب الذى تغلب عليه البهرجة والتأنق . والخطيب الذى يتراءى أمام السامعين وقد ضاق صدراً بالعبارة التى يبرز فيها فكرته ثم يوفق اليها يكون شأنه فى التأثير شأن من يلقى قنبلة ، أو من يشهد بركاناً ينفجر . وإنى لأذكر فيما أذكر قول أحد كتاب الفرنسيين إنه يؤثر بربرية « جمبتا » فى الخطابة على أناقة « جوريس » فيها ؛ فالغابة الطبيعية أحب إلى القلب ، وأشهى إلى النفس ، وأمتع للنظر من الغابة التى نسقتها يد الانسان

ولقد ألِفَ الكتاب تقسيم الخطباء إلى : قارئ ، وحافظ ، ومرتجل ؛ فأما القارئ فهو الذى يتلو من ورقة يحملها بيده ؛ وأما الحافظ فهو الذى يلقى خطابه عن ظهر غيب كما يلقى الطلبة محفوظاتهم فى المدارس ؛ وأما المرتجل فهو الذى يلقى من وحى الخاطر وحاضر البديهة

ولقد دلت التجارب على أن السامعين يتبرمون بالخطيب القارىء ، ويشيع السأم فى نفوسهم ، وبخاصة حين يلمحون أكداس الورق أمامه ، وإذا لم يُجِدْ الالقاء جاءت عباراته بمثابة قطع الثلج تتساقط فوق رؤوسهم ، وهم يؤثرون أن يتلوها حين يخلون إلى ضمائرهم ليتذوقوا جمال الأسلوب ونضوج الفكرة فيها . والخطب المكتوبة تدعو للاطالة والاسهاب فتبعث على الملل ، ولذلك جرت التقاليد البرلمانية على تحريمها . ثم إن ما يغتفر للخطيب المرتجل الذى يلقى من حاضر البديهة لا يغتفر للخطيب القارىء الذى أمعن فى التحضير وأطال فى الكتابة . فالأول ، خلال فورة الخطابة وغليانها ، إذا جرح أحداً ، أو فاه بعبارة نابية ، افترض فيه حسن النية ، وسقط عنه ركن العمد . فأما الثانى وقد قال عبارته فى دم بارد ، وضمير جامد ، فانه يتحمل الظروف المشددة المترتبة على العمد وسبق الاصرار

على أنه لا مندوحة عن تلاوة الخطب الرسمية ؛ لخطورة الموقف ، ودقة المسئولية ، تحتمان وزن العبارات ، ولا تسمحان بمغامرات الارتجال الخطابى . وهنا تحضرنى رواية « فون بيلوف » مستشار الأمبراطورية الألمانية قبل الحرب العالمية إذ قال فى مذكراته أنه كان يُعِدُّ لغليوم الثانى أمبراطور ألمانيا السابق الخطب التى يزمع إلقاءها فى المواقف الرسمية الخطيرة ، مخافة أن يتورط ، وقت الاندفاع الخطابى ، فى عبارات تمس مسئولية الدولة الألمانية . على أن الأمبراطور كان كلفاً بالخطابة ، وكان يزعم لنفسه قدرة على الارتجال لا تجارى ولا تبارى . وتحدد يوم ليلتقى بقيصر الروسيا على ظهر بارجة حربية ، وأعدَّ له « فون بيلوف » الخطاب الذى سيلقيه ، فما أن نهض غليوم للخطابة حتى ضرب صفحاً عن الخطبة الرسمية ، وفاه بعبارات أقامت الدوائر السياسية البريطانية وأقعدتها ؛ ففطنت الدبلوماسية الألمانية للأمر ، ونشطت لانقاذ الموقف ، وإصلاح ما أفسده زهو الطاووس

والخطيب القادر على الارتجال لا يلبث أن يشعر بثقل قيود التلاوة حتى فى أدق المواطن الرسمية وأخطرها . وسعد زغلول ، وهو المثل الأعلى للخطيب المرتجل ، كان يضيق بالتلاوة صدراً ، فيلقى الأوراق من يده ويعمد إلى الارتجال ، فيحلق فى سماء البلاغة

ولا بد للخطيب الحافظ من ذاكرة جبارة لأنه إذا خانته الذاكرة بات فى أدق المواقف وأحرجها ؛ فقد روى أن نائباً من نواب الأمبراطورية الفرنسية ألقى خطاباً شهد الجميع بأنه رائع

فما لبث محرر صحيفة « الفيجارو » أن أماط اللثام عن أن الخطاب منتحل . فأقر النائب بمصدر الخطاب ، وقال إن له ذاكرة قوية فيحفظ عن ظهر قلب أغلب ما يقرأ . وأنه قرأ ذاك الخطاب فوعتــه ذاكرته . فلما حمى وطيس الجدل فى المجلس ألقاه وهو يؤمن بينه وبين نفسه « أنه له » ! ودارت الأيام دورتها وأصبح عضواً بمجلس الشيوخ ، فقام للخطابة وظل يهدر ويتدفق حتى اصطدم بكلمة فما يدرى ما بعــــدها ؛ ولبث يحاول ثم يحاول فلا يجد ما يقوله كأن ما بذهنه قد تبخر . فأنقذ رئيس المجلس الموقف بأن رفع الجلسة ، فلما أعيدت نهض صاحبنا وعالج الـكلام فلما بلغ تلك الـكلمة ارتج عليه ، وما كان يغنى عنه أن يبدأ الجملة من أولها إذ كان عند ما يبلغ تلك الـكلمة يرتج عليه ثانية ، فبادر الرئيس إلى إنقاذ الموقف برفع الجلسة نهائياً ، وما ارتقى صاحبنا المنبر بعد ذلك أبداً

والخطيب الحافظ إن لم يكن حسن الالقاء ، لطيف الايماءة ، كان ضعيف التأثير فى سامعيه ؛ وشعور الجمهور يهديه إلى اكتشاف الخطب المحفوظة عن ظهر قلب . فالألفاظ البراقة ، والصور الخلابة ، والعبارات المصقولة ، والجمل المسجوعة ، مضافة إلى الاندفاع الخطابى ؛ كل أولئك يمزق القناع عن وجه الخطب المحفوظة ويهدم دعوى الارتجال من أساسها

استغفر الله أن يفهم من قولى أن الخطيب لا ينبغى له أن يلبس فكرته ثوباً جميلاً ، وإنما أريد أن أقول إن الخطيب الجدير بحمل هـذا اللقب لا يجمل به أن يكون أسيراً لألفاظ رصها وعبارات رصفها . فليس العيب فى العناية باعداد الخطاب ، وإنما العيب أن يكون الخطيب عبداً للاستعارات والمجازات والتشبيهات والـكنايات ، وعلى الجملة عبداً لـكافة المحسنات اللفظية وعبارات البديع والبيان

كان « جان جوريس » الخطيب الاشتراكى العظيم يعترف صراحة بأنه يعد خطبه ولا يرى فى ذلك عيباً على الاطلاق . فى ٢١ نوفبر من عام ١٨٩٣ كان يستجوب الوزارة الفرنسية عن سياستها العامة ، فلما فرغ من خطابه نهض المسيو شارل ديبوى رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية للرد عليه فقال : « أعتقد أنكم بعد أن سمعتم خطاب مسيو جوريس تجدون بعض العناء فى تصديق دعواه بأنى لم أدع له الوقت الـكافى لاعداد خطابه » فنهض جوريس وجهر بتلك العبارة : « إنى لأشعر قلبى الاحترام لمنبر الخطابة ولزملائى فأعد ما ألقيه »

وكان « برىو » المحامى الفرنسى المدره يترافع يوما فدفعت الصفاقة خصمه لأن يداعبه مداعبة ثقيلة ، فقال : إن رائحة الزيت تنبعث من ثنايا مرافعته ؛ كناية عن أنه أفنى الليل فى اعدادها على ضوء المصباح . فأجاب « برىو » : « ليس يضيرنى أن يسجل على أنى أعد مرافعاتى بدقة ، وإن اجلالى للقضاء يحول بينى وبين التورط فى العبارات الجوفاء والصيحات الفارغة التى تجـد لها موطنا فى ساحة أخرى غير ساحة العدل » ، وكان المحامى الخصم عضوا بمجلس النواب فأفحمته عبارة شيخ المحاماة

ومن الأوهام الشائعة أن الارتجال فى الخطابة يعنى أن الخطيب ينهض ولم يعد خطبته ، بل إن ذهنه خلو من كل مايتعلق بالحديث الذى سيخوض فيــه ، ولسنا نتردد فى الجهر بأن مثل هذا الخطيب عاجز إلا عن الثرثرة والـكلام الأجوف الفارغ ، وكل بضاعته ألفاظ طنانة وعبارات رنانة لشد ما لاكها حتى حفظها عن ظهرغيب ، فأصبح يتجر بها فى كل موقف خطابى . وصدقونى أن الخطيب لا يستطيع أن يرتجل الـكلام عن موضوع إلا إذا درسه دراسة عميقة ، ولا يقوى على الارتجال فى كل المواقف إلا إذا كانت له ثقافة عالية ومعلومات عامة واطلاع واسع فى العلم والفلسفة والأدب والتاريخ ؛ وفى كلمة ، أن يكون عبارة عن « دائرة معارف » . ولا بد له من اعداد فكرته ، أستغفر الله ، بل لا بد له من اعداد ألفاظه وعباراته قبل إلقاء خطابه ، إنما لا ينبغى له أن يكون أسيراً لألفاظ بعينها أو عبداً لعبارات بذاتها وإلا انحدر إلى طبقة الخطباء الحافظين . وليست تهم طريقة اعداد الخطبة وإنما تهم اجادتها ، فمن الخطباء من يفكر وهو يكتب ، ومنهم من يفكر وهو يمشى ، ومنهم من يفكر وهو يتحدث إلى صحبه ، ومنهم من يفكر وهو فى مضجعه ، ومنهم من يفكر فى الفترة بين دعوته للخطابة ووقوفه على المنبر ؛ وإنمـا يلتقى الخطباء المرتجلون عند أمرين : سعة الاطلاع ، وهبوط وحى الفكرة وسط حرارة الاندفاع الخطابى

وما إخالك بعد هذا الشرح الموجز إلا قد فهمت مغزى عبارة « برييه » الخطيب الفرنسى العظيم : « إن سر الخطباء المرتجلين هو أنهم لا يرتجلون على الاطلاق »

عبد المجيد نافع
المحامى

بين شوقي وابن زيدون

بقلم الدكتور زكى مبارك

تتمة

— ٤ —

واشترك شوقي وابن زيدون في التفجع والحنين ، أما ابن زيدون فيقول :

يا جنة الخلد أُبدلْنا بسَلْسلها ... والكوثر العذب زقوما وغسْلينا
كأننا لم نبتْ والوصلُ ثالثُنا ... والدهر قدغض من أجفان واشينا
سِرّان في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكادُ لسانُ الصبح يُفشينا
لا غَرْوَ أنّا ذكرنا الحبَّ حينَ نهتْ ... عنهُ النُّهى وتَركنا الصبرَ ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً ... مكتوبةً وأخذْنا الصبرَ تلْقينا
أما هَوَاكِ فلم نعدِلْ بمَنهَلِه ... شِربا وإن كان يُروينا فيُظمينا
لم نجفُ أُفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ ... سالِينَ عنه ولم نهْجُرْهُ قالينا
ولا اختياراً تجنبناكِ عن كثب ... لكن عَدَتنا على كرهٍ عوادينا

والشاعر في هذه الأبيات يصف أيام الوصل أجمل وصف ، ويرى نفسه انتقل من كوثر الخلد إلى الزَّقُّوم والغِسلين ، ويرى وِرْدَ الهوى القديم شِرْباً لا يعْدِلُهُ شرب ، وإن كان يرويه فيظميه ، ونعيمُ الوصل يُرهف الحِسّ فيزيد القلب ظمأً إلى ظمأ والتياعا إلى التياع ، وتحدث الشاعر عن البين فذكر أنه لم يقع عن سلوة ولا صدود ، وإنما أكرهته العوادي

ويروقنا هذا التعبير المونق :

« لم نجفُ أُفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ »

فكأن الدنيا كانت لعهده أُفقاً من المفاتن ، وكانت محبوبته كوكب ذلك الأُفق المطلول بأنداء الفُتُون

هذا جَزَعٌ من صُنع الدهر صرخ به ابن زيدون ، وعارضه شوقي فقال يصف قسوة الليل وقسوة الفراق :

ونابغيٍّ كأنَّ الحشرَ آخِرُهُ ... تُميتُنا فيه ذِكراكم وتحيينا
نطوي دُجاهُ بجُرحٍ من فِراقِكُمُو ... يكادُ في غَلَسِ الأسحارِ يطوينا
إذا رسا النَّجم لم ترقأ محاجرُنا ... حتى يزولَ ولم تهْدَأْ تراقينا
بتنا نُقاسي الدَّوَاهِي مِنْ كَوَاكِبِهِ ... حتى قَمَدْنا بها حَسرَى تُقاسينا
يبدُو النهارُ فيُخفيه تجلدُنا ... للشَّامتِينَ ويأسُوه تأسِّينا

وهذا من الشعر الرفيع ، ومن العجز ألا نجد غير هذا الوصف ، والا فكيف نصل إلى بيان الفتنة في هذا البيت :

يطوي دُجاهُ بجرح من فراقكمو ... يكادُ في غلس الأسحار يطوينا

أترون كيف يُطوَى الدُّجى بالجرح ؟ أترون كيف تكون الجراح أعظم من ظلمات الليل ؟

ثم ما هذه الوثبة الشعرية حين يقاسي الشاعر بطء الكواكب ، ثم ينظر فيراها ابتُلِيَتْ به فباتت تقاسيه ، وهي حسرى لواغب ؟ والشاعر قد يعظم سلطانه على الوجود فيرى الدنيا تجزع لجزعه وتأسى لأساه

وكان الشعراء الأقدمون يرون النهار يبدد الأشجان بفضل ما فيه من الشواغل ، أما شوقي فيرى أشجانه لا تهدأ نهاراً إلا بفضل التأسي والتجلد للشامتين

— ٥ —

بقي النظر فيما تفرد به الشاعران

ونحن نرى ابن زيدون تفرد بهذين البيتين في خطاب حبيبته التي أقصاه عنها الزمان

نأسى عليك إذا حثت مشعشعة ... فينا الشَّمُول وغنَّانا مُغنِّينا
لا أكْؤسُ الرَّاح تبدي من شمائلنا ... سِيما ارتياحٍ ولا الأوتارُ تلهينا

وهذا من أدق المعاني النفسية ، فالشراب والغناء يهيجان العواطف الغافية ، ويبعثان الوجد الدفين ؛ وللشوق في أمثال هذه اللحظات لذعات أعنف من الجمر المشبوب . وأين الجمر بجانب مايثور في القلب عند الشراب والسماع ؟ إن هذه لحظات تكشف المقنع من سرائر النفوس ، وتصنع ما تصنع الحمى العاتية حين تنطق المحموم بأسماء لم يهذ بها لسانه ولا وجدانه منذ سنين

وقول ابن زيدون :

ولو صبا نحونا من علو مطلعه ... بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

هو أصل المعنى الذي ساقه شوقي في السينية :

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني اليه في الخلد نفسي

وهو أخذ رفيق لا يحاسب على مثله الشعراء

وتفرد شوقي بالفخر ، الفخر بنفسه وبأمجاد النيل ، فقال :

لم يجر للدهر إعذارٌ ولا عُرس ... إلا بأيامنـــا أو فى ليالينا
ولا حوى السعد أطغى فى أعنَّته ... منَّا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرُنا ... ولم يَهُن بيدِ التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صِبغ ولا خُلُق ... إذا تلوَّن كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميداناً ولا صعِدت ... فى ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
ألم تُؤلَّه على حافاته ورأت ... عليه أبناءها الغُرَّ الميامينا
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبسا ... خمائل السندس الموشية الغينا[1]
وبات كل مجاج الواد من شجر ... لوافظ القزِّ بالخيطان ترمينا

وبهذا دافع الشاعر عن الوثنية المصرية أجمل دفاع ، وهل عبد المصريون الشمس إلا لأنهم عرفوا فضل الشمس ؟ وما الدنيا بدون الشمس إلا وجود تافه سخيف !

وشوقى لم يعن إلا نفسه حين قال :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ... ولم يَهُن بيــدَ التَّشتيت غالينا

وقد صـدق ، فقد قامت فى وجه الرجل أحداث تهد الجبال ، وانتاشه الخصوم أشد انتياش ، ولـكن من كان يملك مثل قلبه واحساسه وشاعريته يصعب هَدْمه ، وإن تكاثرت المعاول ، واستحصَدَتْ سواعد الهادمين

وتفرد شوقى بالحديث عن الاهرام فقال :

وهذه الأرض من سهل ومن جبل ... قبل القياصر دِنَّاها فراعينا
ولم يضع حجراً بان على حجر ... فى الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت ... به يدُ الدهر لا بنيانِ بانينا
إيوانه الفخم من عُليا مقاصره ... يُفنى الملوك ولا يُبقى الأواوينا[2]
كأنها ورمالاً حولها التطمت ... سـفينة غرقتْ إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً ... كنوز فرعون غطين الموازينا

وللقارىء أن يتأمل هـذه الأبيات ، له أن يتأمل قوة الفخر فى هذا البيت :

ولم يضع حجراً بان على حجر ... فى الأرض إلا على آثار بانينا

وله أن يعجب من روعة الخيال فى هذا البيت :

كأن أهرام مصر حائط نهضت ... به يد الدهر لا بنيـــان بانينا

وله أن يتأمل دقة التشبيه فى هذا البيت :

كأنها ورمالاً حولها التطمت ... سـفينةٌ غرقت إلاَّ أساطينا

ذلك شوقى وتلك آياته البينات .

— ٦ —

وتفرد ابن زيدون بوصف الجمال الانسانى ، وتفرد شوقى بوصف الجمال الطبيعى . أعطى ابن زيدون محبوبته صورةً هى تحفة فى الصور الانسانية ، وأعطى شوقى مفاتن النيل صورةً هى غرَّةٌ فى الصور الطبيعية ؛ أما صورة النيل فقد رآها القارىء من قبل ، وأما محبوبة ابن زيدون فقد صوَّرها بهذه الأبيات :

ربيبُ ملكٍ كأن الله أنشأهُ ... مسكا وقدَّر إنشاءَ الورى طينا
أو صاغه وَرِقاً محضاً وتوَّجه ... من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا
إذا تأوَّدَ آدتهُ رَفاهيـــةً ... تومُ العقودِ وأدته البُرى لينا
كانت له الشمس ظئْراً فى أكِلَّته ... بل ما تجلى لهـا إلا أحايينا
كأنما أثبتت فى صحن وجْنته ... زُهرُ الكواكب تعويذاً وتزيينا
ما ضرَّ أن لم نكن أكفاءَه شرفاً ... وفى المودة كافٍ من تكافينا

وهذه نظرة شاعر يعرف جواهر الصَّباحة . وفى الحسن ألوفٌ من الأفانين يعرفها الراسخون فى علم الجمال ، فالجمال المنعَّم غير الجمال المحروم ، والزهر النضير الذى يُضاحك الشمس فى حديقـة غناء بقصر من قصور الملك ، غير الزهر الظمآن المنسىّ الذى يتفتح وهو مهجور فى ربوةٍ قاصية لا يعرفها غير الذئاب . إن جواهر الجمال تختلف أشد الاختلاف ، ولـكل لون من ألوان الجمال وحىٌ خاص . وجوهر الشعر يتبع جوهر الجمال ، وهل يمكن أن يكون ما يوحيه الجمال المحجَّبُ شبيهاً بما يوحيه الجمال المباح ؟ إن الطبيعة قد يبدو لها أحياناً أن تُكايدَ الناس فتنشىءُ من الحسن فى حىّ بولاق ما تغيظ به الناعمين فى حىّ القصر العالى[1] ، ولـكنها لا تفلح ، فالجمال الذى ينبت فى البيئات السوقية يظل سوقىَّ الشمائل والنوازع ، أما الجمال الذى يتفتح فى البيئات المنعَّمة فيظل ملحوظَ المشارب والميول

فمشوقة ابن زيدون ربيبةُ ملك ، وربيبة الملك تألف السيطرة

(١) الغين جمع أغين ، وهو الأخضر ، والمؤنث غيناء
(٢) الأواوين جمع ايوان

(١) القصر العالى : حى بالقاهرة يشارف النيل ، ويسميه السخفاء : (جاردن سيتى)

منذ أيام المهد ، ويظلُّ دلالها طول الحياة دلالاً سماوياً يأخذ فيضهُ من قوة الطبع ، لا من لؤم التمنّع ، وينزل رضاها على القلب نزول الطَّل على الريحان . وابن زيدون يتمثّل محبوبته خُلقت من المسك ، ويرى الناس ما عداها خلقوا من طين ، وكلمة (طين) وقعت قبيحة فى شعر ابن زيدون ، إلا أن يكون أراد الاشارة إلى بعض الناس ؛ والمرء حين يغضب يرى الناس خلقوا من طين ، وإن كان الطين أشرف من بعض من نرى من المخلوقات ؛ والطين تُربةٌ يحيا بها الزهر ويتغذى منها الشوك ، وفوقه تتخطر الظباء ، وعليه تزحف الأفاعى والصِّلال

وبلغ ابن زيدون نهاية الترفق حين قال :

إذا تأوّد آدته رفاهيـــةً ... توم العقود وأدمته البرى لينا

والجمال الذى تؤذيه العقود والدمالج والأساور والخلاخيل جمال غضٌّ رقيق يشبه فى رقته نواظر العيون ، ولفائف القلوب ، وهذا الجمال منثور فى المدائن نثر الزهر واللؤلؤ ، ولولا وجوده فى هذه الدنيا لما عرف شاعر قيمة النعمة العظيمة ، نعمة البصر والحسّ والذّوق ، لولا الجمال المنعم المصون الذى لا يطمع فى تفيء ظلاله غبيٌّ ولا لئيم لأقفرتِ الدنيا من الشعر وخلت من الأنفاس العطرة ، أنفاس الشعراء ؛ لولا الجمال المنعم المصون الذى لا يطمع فى تفيء ظلاله غبى ولا لئيم لما استطاب شاعرٌ سهر الليل ، وألم الجفون . وهل يعنى القلب فى سبيل الجمال المبتذل الذى ترنو إليه جميع العيون ؟ إن الجمال المبتذل شبيه بالكوكب المتهالك الذى لا تألم من النظر إليه عينٌ رمداء ، أما الجمال المنعم المصون فشبيه بالشمس لا يقوى على النظر إليه الا الفحول من الشعراء ، والأقطاب من الكتاب ، هو الجمال الفرد ؛ ولا يصاوله إلا الرجل الفرد ، وإن كان يتواضع فيقول :

ماضرَّ أن لم نكن أكفاءه شرفاً ... وفى المودة كافٍ من تكافينا

هذا تواضعٌ ، فان جوهر الحب فى قلب الشاعر أنفسُ من جوهر الحسن فى وجهِ الجميل . وهل تُعربد معانى الصباحة فى الوجه المليح كما تعربد عرائس الشعر فى قلب الشاعر الذى يلقى الأنوار والظلمات وحوله جيشٌ من الهوى المتمرّد والوجد المشبوب ؟

إن قلب الشاعر جوهر نفيس ، ولولا فضله على الدنيا ما عرف أحد جمال الصبح المشرق ، ولا تنبه مخلوق إلى لمح الكواكب ولألاء النجوم ، ولا تلفت باحث إلى شعر ابن زيدون وقد طمره الزمن بتسعة أحجار تسمى تسعة قرون

— ٧ —

ثم ماذا ! بقى أن نشرب صبابة الكأس من نونية شوق ، وكلُّ صبابة فى الكأس صاب ، بقى أن نتوجع لبلواه وهو يتشوّق إلى مصر فيقول :

أرض الأبوّة والميلاد طيّبها ... مر الصبا فى ذيول من تصابينا

كانت محجّلة فيها مواقفُنا ... غراً مسلسلة المجْرى قوافينا

فآب من كُرة الأيام لاعبُنا ... وثاب من سِنة الأحلام لاهينا

ولم ندع للّيالى صافياً فدَعتْ ... (بأن نغص فقال الدهر آمينا)

لو استطعنا لخضنا الجو صاعقة ... والبر نار وغى والبحر غسلينا

سعياً الى مصر نقضى حق ذاكرنا ... فيها إذا نسى الوافى وباكينا

أرأيتم هذا الشعر ؟ أرأيتم الخيال فى هذا البيت :

فآب من كرة الأيام لاعبنا ... وثاب من سنة الأحلام لاهينا

أرأيتم صورة الهول المقتحم فى هذا البيت :

لو استطعنا لخضنا الجو صاعقة ... والبر نار وغى والبحر غسلينا

ثم ماذا ؟ بقى ختام القصيدة ، وهى أبيات ما قرأتها إلا بكيت على أمى رحمها الله . وانظروا كيف هفا قلب الشاعر إلى أمه فى حلوان :

كنز بحلوان عند الله نطلبه ... خير الودائع من خير المؤدينا

لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوق إلا من نواحينا

إذا حملنا لمصر أو له شجناً ... لم ندر أى هوى الأمين شاجينا

طيب الله ثراك أيها الشاعر ، ورحم والدىَّ ووالديك ، فالدعاء فى أعقاب شعرك كالدعاء فى أعقاب الصلوات

زكى مبارك

هكذا قال زرادشت*

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

مقدمة لابد منها

نشر نيتشه كتابه هـذا فى أربعة أجزاء بين سنتى ١٨٨٣ و١٨٨٥ ، فأشعل ثورة فكرية لا فى ألمانيا فحسب ، بل فى سائر الأقطار الأوربية والعالم الجديد . ولم يكن العالم العربى فى ذلك العهد على اتصال وثيق بالحركة الفكرية الغربية ، فلم يسمع بنيتشه وفلسفته حتى مر زهاء ثلث قرن ، فورد اسمه على بعض الأقلام عرضاً ، وكل ما عُرف عنه حينذاك فى هذه البلاد هو أنه يدعو الى مذهب تمجيد القوة والعمل على إيجاد الانسان الأعلى بالقضاء على كل اعتقاد يشل الارادة ويثبط الهمم فى معترك الحياة

وفى الواقع أن نيتشه الفيلسوف الألمانى الأشهر قد دعا الى هذا المذهب ليعارض الفلسفة الدينية التى أخذ بها الغرب عن المسيحية فأغرق فى احتقار الحياة باسمها ، وضل ضلالاً بعيداً فى تفهمها ، إذ اعتبرها دعوة عن الاعراض عن الزائلة إعراضاً تاماً ، ورأى الكمال للانسان فى التقشف والزهد والترفع حتى عن العاطفة الجنسية التى يقوم الكون عليها

ولاح لنيتشه أن هذه النظريات الاجتماعية منحدرة من الايمان بالخالق وخلود الروح ما وراء المنظور فثار بعقله الجبار عليها وأنكرها جاحداً معها كل إيمان بغير الانسان نفسه والحياة نفسها

ولو كان تسنى لنيتشه أن ينفذ الى حقيقة الايمان الذى دعا عيسى اليه لكان تجلى له إيماناً بالقوة التى ترفع الضعفاء ، لا بالضعف الذى يسلط الأقوياء عليهم . ولو كان تسنى لنيتشه أن يستنير بما فى الاسلام من مبادىء اجتماعية عليا لأدرك أنه باتباع مثل هذه المبادىء ينشأ الانسان الأعلى لا بالالتصاق بالأرض دون الالتجاء الى السماء

ولقد يلوح للبعض أن لا فائدة من ترجمة نيتشه الى العربية لأن فلسفته راسية على الجحود ؛ أما نحن فنرى أن خلو المكتبة من هـذا المؤلف الذى أثر التأثير الكبير فى تطور الحركة الفكرية فى أواخر القرن الثامن عشر فى العالم الغربى يعدُّ نقصاً فيها وقصوراً علينا ؛ إذ لم يتردد أى شعب فى نقله الى لغته . وفوق ذلك فان ما يتجلى فى فلسفة نيتشه من جحود لا نراه يتجه الى الله الواحد الأحد الذى نعبده وبوحيه ندين ، بل هو يتجه الى الألوهية المزيفة التى ارتسمت فى ذهنه من إدراكه الناقص لحقيقة الوحى كما يفهمه المؤمنون

فلنمر ، إذن ، بجحود نيتشه باسمين ، ولنقف عند نظراته فى الحياة مفكرين

إن فى كتاب زرادشت من المبادىء الاجتماعية ما يجدر بنا الوقوف عنده ، لأنه يتفق والقاعدة التى وضعها الاسلام للحياة بحديث للنبى (صلعم) على قول ، أو بكلمة لأمير المؤمنين عمر على قول آخر وهى :

(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .)

لقد أدرك نيتشه الشق الأول من هذه الحكمة ، وفاته الشقُّ الأخير فلم يأمن الضلال والعثار ؛ أما نحن أبناء هذا الشرق العربى فآخر هذه الحكمة راسخ فى أعماق نفوسنا مما يجعل الشق الأول منها هداية لا ضلالا

هذا وإننا سنورد فى آخر الترجمة بعد بسط فلسفة نيتشه التحليل الذى تقتضيه لاظهار فاسدها وصحيحها ، فنقف فى وجه المادية التى تطغى موجتها على المدنيـة ، ونثبت أن لا خير فى حضارة يعمل الانسان فيها لدنياه كأنه يعيش أبدا دون أن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً .

فليكس فارس

وسنوالى نشر الكتاب كاملا ابتداء من العدد القادم

(*) لا علاقة بين بطل رواية نيتشه وحكيم الفرس ، وقد اخترنا فى سياق الحديث اختصار اسم زارادشت بزارا تخفيفاً ، وسوف نشير أيضا بعلامة الى كل عبارة سنتناولها بالبحث لاثبات خطأ نيتشه فيها

كلمة أخيرة

حول « نبوة المتنبي أيضاً »

للأستاذ سعيد الأفغاني

قرأت للأخ شاكر مقاليه الأخيرين المطولين جداً في الرسالة (١٧١ ، ١٧٢) فاذا ما أريد أن أقوله قد قلته سابقاً في الرسالة (١٧٠) فليرجع إليه فهو ردٌّ على مقاليه هذين أيضاً

لما عرف الأستاذ شاكر أنا « لا نحفل رداً ولا نقداً إلا إذا كان حقاً ، وسبيلنا حينئذٍ أن نأخذ به أنفسنا ونشكر لصاحبه . » عاذ بذلك فراغ روغة عدل فيها بالكلام عن وجهه الذي يجب أن يكون فيه ، فلم تظفر اعتراضاتنا — لسوء حظها — منه بجواب . وقد كنا طلبنا إليه التعرض لهذه الأخبار التي رماها جملةً بالكذب فيبين وجوه بطلانها والسبب الحادي لرواتها على وضعها ببيان يزيل اللبس ويرضي الأمانة والعقل ، فأبى وطفق يتعلق بتوافه الأمور : فهذا كلام شغل أربعة أعمدة من (الرسالة) في تزييف رواية اللاذقي وقد عرف القراء قيمتها عندنا ، وذاك كلام يعرض لبسطي عذري في التأخر بالرد ، وذلك كلام آخر طويل يدور حول ياء سقطت من كلام له نقلناه ... الخ

استوفى الأخ ستة عشر عموداً زوى عنا فيهن حججه المزعومة ونافع بيانه وأطلق قلمه فسطر من القول النبيل ما نمر به مر الكرام ؛ ولما أشرف على الختام قال : « وتمب أن أمضي على هذا الوجه في تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم . » وقد علم أصلحه الله وعلم القراء أن البحث والحوار كله يدور حول هذا فقط ، ففيم الهرب منه والاشتغال بغيره ؟ ولست أنا الذي ادعى بطلان الروايات فأحتاج لمعرفة وجوه البطلان ، وإنما نفع ذلك وغناؤه — إن تم — عائدان عليه وحده ، فهو الذي ألف واستهدف ، وهو الذي ادعى وأعوزه البرهان

وقد كنت ظننت أني مع أستاذ يعينني في إزالة ما حول هذا البحث من شبه بالعلم الواسع والحجة البالغة ولطف التأني وحسن القصد ، فاذا بي أمام امرئ يريدها جدلاً ومراء أو استطالة قول وحب غلبة مع معرفته من نفسه الحدة وضيق الصدر

فما أنا — وقد عرض الأستاذ لنا أدبه عرضاً صحيحاً — بالذي يجاريه في أسلوبه . وكل ما تفضل به من غمز احتل من كلامه محل الحجة لا يحدوني على مقابلته أو مشاكلته ، ولا على الخروج على قاعدتي التي أطمعته فورطته وكانت خليقة منه بغير ما فعل

ليت الأستاذ شاكرا كان تريث قليلاً فلم يحرص على صدور رده عقب كلمتي بلا تأخر ، ولم يخرج عما أخبرنا من طبعه في الابطاء والتخلف ، فان الناس لا يقدرون الكلام بسرعة صدوره ، وإنما يقدرونه بما يحمل من الحق والصواب

ليته تريث وتدبر وأنعم في كلامه وكلام غيره ، إذن لما أعجله حب الرد للرد فجعله ينقض فكرة هي له على أنها لغيره ، ويستنجد لدفعها بالعربية والمنطق والأصول ؛ وبيان ذلك باختصار أنه :

كان أشكل عليه في كلام أبي علي بن أبي حامد أمر الوثيقة التي كتبوها على المتنبي بعد أن استتابوه من دعوى النبوة ؛ فذهبنا نحن إلى أنها في إبطال علويته لا تنبئه ، وأمر علويته ورد في روايات ثانية ، فكان من الأستاذ أن أورد رواية أبي علي ثم علق على كلامنا فيها بقوله : (الرسالة ص ١٦٦٥)

« فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية في هذا الخبر ولا في غيره مما روى عن علي بن أبي حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه وهو لم يذكرها فيه ولم ترد عنه في خبر غيره ، ثم تعمد إلى الكلام فتؤول بعضه على النبوة وبعضه على العلوية فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة ؟ »

والذي قلناه نحن هو هذا (الرسالة ١٧٠) : « وليس في الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجح الأستاذ (ص٤٩) من كتابه إقحام لفظ النبوة بين العلويتين في حديث الهاشمي ، وليقول : (إن المراد بالنبوة (تأمل) في حديث أبي علي بن أبي حامد العلوية) فمن المقحم ومن المؤول أيها البحاثة المحقق الذي لا ينسى اليوم ما قاله أمس ؟ ! ثم قلنا : « فعلوية أبي الطيب التي أراد أن يفسر بها النبوة الواردة في الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل ، وبقي المتنبي جعفياً يمنياً ، وإذا كان لا بد

(تدبر) من ايراد احتمال فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الروايات فى غنى عن هذا الفرض أيضاً (تأمل وتدبر) وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة »

فنظرية الاقحام أنت قلت بها أيها الأستاذ الجليل لا نحن ، وكلمتنا بدئت بقولنا (إذا كان لا بد من احتمال) أما كلمتك فبدئت : (إن المراد بالنبوة فى حديث أبى على . . العلوية ص٤٩ من كتابك القيم) وأياً كان صاحب اكتشاف الاقحام ومؤول النبوة بالعلوية فهو ونظريته خليقان بما تفضل به الأستاذ من استنكار واستبشاع

لقد رمانى الأستاذ بدائه : عدم التدبر والتحريف ، وأراد أن يتناول فكرة لى كيفما اتفق له لينقدها ، فوقعت يده على فكرته هومنقولة فى كلامى ! وقاتل الله العجلة ، فقديماً ذكروا أن تاجراً أضمر أخذ عدل من أعدال شريكه فوضع رداءه عليه ليعرفه فى الظلمة ؛ ثم ذهب وجاء رفيقه ليصلح أعداله فوجد رداء رفيقه على عدله وظن أنه نسيه فرفعه ووضعه على عدل شريكه . ولما كان الليل أتى الشريك بحمال واطأه ففتح الحانوت واحتمل العدل الذى عليه الرداء وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض أعداله ! !

***

فعلى القارىء المتتبع أن يرجع حيثما وجد نقلا لكلامى الى الأصل المنقول عنه فلست أفرغ دائما لبيان ما حُرّف ولا أحتمل إلا تبعة ما قلت على ما قلته بحروفه ، غير مروى بكلام من غيرى . ومن أول كلامى بجمل من عنده ثم شرع فى ردها فانما رده على تأويله فحسب

كان رغب الينا الأخ شاكر ألا نتبع ظننا فى أنه من أهل الغرور والذهاب بالنفس والجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وقبل كلمته هذه كان ادعى لنفسه تدبرا وإمعاناً وأصولاً ودراية ، ثم فى الأخير حلماً عند القاتل البادية حين لمزنا بالحاجة الى هذه الصفات ، وكلام كلينا معروض لمن أراد تثبتاً ، وسبحان الذى قال : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

فهل أجد حرجاً فى أن أقول ثانية « صحف الرسالة أحوج إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها الى الدعوى والانتقاص » وإن القراء « لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الحط منه » ، وحرام أن أقتل الوقت فى تتبع المزالق التى زل فيها صاحبنا فى مقاليه هذين ، فما هى بنافعتنا فيما ظهر لتباين أسلوبينا فى البحث و (اختلاف فى الجبلة) على ما قال الأخ شاكر

وما أنا بعائد اليه لأن الحقيقة لم تفد شيئاً بخوض هذا البحث معه ، ولن أجارى أخى فى طريقه التى سلكها فما هى لى بطريق ، ولا أرب لى بتعسف المتاهات ، ولولا أن يظن العجول من القراء أن نظرية الاقحام وتأويل النبوة بالعلوية التى رمانى بها الأستاذ على عجلة وخطأ هى نظريتى وفكرتى لما خططت حرفاً من كلمتى هذه

وبعد ، فليس عندى لأخى الأستاذ على أقواله فى غير السلام

سعيد الأفغانى

الفصل فى نبوة المتنبى

من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

يعتمد الباحثون فى نبوة المتنبى على تلك الأخبار المتناقضة فى أمر نبوته ، فيذهبون فيها مذهبين متناقضين : فريق يجزم بوقوع هذه الدعوى منه ، وفريق يجزم بأنها من اختراع أعدائه ؛ وكل فريق يتعصب للأخبار التى تؤيد مذهبه ، ويجزم بصحتها كل الجزم ، ويطعن فى صحة الأخبار التى لا توافق مذهبه ، وتؤيد مذهب الفريق الآخر ، وقد ضاع الحق فى ذلك بين التعصب للمتنبى والتعصب عليه ، ولم تنهض فيه حجة واضحة تقطع بالحق من ذينك المذهبين ، وتقضى على هذا الخلاف الذى لم ينته الى الآن

ولا خلاف بين الفريقين فى إطلاق لقب المتنبى على أبى الطيب ، وإنما الخلاف فى أنه أطلق عليه لادعائه النبوة فى حداثته ، أو لقوله :

أنا ترب الندى ورب القوافى ... وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله ... غريب كصالح فى ثمود
ما مُقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

هذا هو ما حكاه أبو الفتح عثمان بن جنى عن أبى الطيب نفسه ؛ وأما الأول فحكاه أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى قال : قدم أبو الطيب المتنبى اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلثمائة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتى أذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، فلما تمكن الأنس بينى وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبى مرسل ، فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول ؟ فقال أنا نبى مرسل ، فقلت له : إلى من مرسل ؟ فقال الى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت تفعل ماذا ؟ قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . قلت بماذا ؟ قال : بادرار الأرزاق ، والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه ، وعذلته على ذلك ، فقال بديهة :

أبا عبد الإله مُعاذ إنى ... خفىٌّ عنك فى الهيجا مقامى
ذكرتَ جسيم مطّلبى وأنى ... أخاطر فيه بالمُهج الجسام
أمثلى تأخذ النكباتُ منه ... ويجزع من ملاقاة الحِمام
ولو برز الزمان الى شخصاً ... لخضّب شعر مفرقه حُسامى
وما بلغت مشيئتها الليالى ... ولا سارتْ وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى ... فويل فى التيقظ والمنام

ثم ذكر بعد هذا أنه لم يزل معه حتى قال له : ابسط يدك أشهد أنك رسول الله ، قال : فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ، ثم قال :

أىَّ محلٍّ أرتقى ... أىَّ عظيم أتقى
وكلُّ ما قد خلق الله ... وما لم يخلق
محتقر فى همتى ... كشعرة فى مفرق

وقد يكون هذ الذى ذكره أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى صحيحاً ، ولم يكن المتنبى إذا صح أنه ادعى النبوة أول من ادعاها فى الاسلام ، فقد ادعاها قبله وبعده خلق كثير ، وقد يكون هذا غير صحيح ؛ وربما يؤيد هذا أن الأبيات الأولى رويت فى ديوانه على أنه قالها وقد عزله معاذ فى إقدامه فى الحرب ، وأن الأبيات الثانية لا تتفق مع دعواه النبوة ، وكثير من الناس يتخذها دليلاً على إلحاده

وقد يكون مارواه ابن جنى هو الصحيح ، وله شواهد كثيرة فى الأدب العربى ، ومن هذا أن شاس بن نهار من شعراء الجاهلية لقب بالممزق لقوله :

فان كنت مأكولاً فكن أنت آكلاً ... وإلا فأدركنى ولما أُمزّق

وأن محصن بن ثعلبة وهو شاعر جاهلى أيضاً لقب بالمثقب لقوله :

رددْن تحية وكَنَنَّ أخرى ... وثقبن الوَصاوِصَ للعيون

وأن خداش بن بشر المجاشعى وهو شاعر إسلامى لقب بالبعيث لقوله :

تبعث منى ما تبعثُ بعد ما (م) ... استمر فؤادى واستمر عزيمى

ومن ذلك أن جران العود العبدى سمى بهذا لقوله :

تاريخ العـــرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون
المستشرق الانجليزى

المدخل لتاريخ العرب

- ٢ -

وإذا وجدنا أن اللغة لا تجرى فحسب على ألسنة الشعراء الجوّالين (الذين كانوا عادة على جانب من الثقافة) أو عرب الحيرة المسيحيين، بل تتداولها ألسن الرعاة واللصوص والبدو الغلاظ فى كل البقاع، إذا وجدنا هذا فليس ثمت داع للشك فى أننا نسمع من خلال شعر القرن السادس اللغة العربية التى كانت مستعملة فى طول بلاد العرب وعرضها. وقد زاد انتصار محمد والفتوح الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين من شأن هذه اللغة وأصبحت العربية لساناً مقدساً فى جميع الأمصار الاسلامية. ولا مراء أن الفضل فى هذا يرجع إلى القرآن، ولكن من ناحية أخرى أمر اعتبار لهجة مكة (التى نزل بها القرآن) الأصل للعربية، وتسمية العربية «لغة قريش» كافٍ لدحض كل حقيقة حول هذا الموضوع. وقد اتخذ محمد (ص) — كما لاحظ نلدكه — الشعر القديم مثالاً. وفى صدر الاسلام كانت سلطة الشعراء الجاهليين (وقليل منهم كان من قريش) هى التى ثبتت قدم اللغة الفصحى وعممت استعمال الأسلوب الفصيح. وطبيعى أن يكون المسلمون — وهم الذين عدوا القرآن كلمة الله والمعجزة البالغة فى أسلوبها — قد قدموا لهجة قبيلة النبى على كل لهجة أخرى، كما أنكروا القول بأن كل قبيلة أبعد من مكة أقلّ فصاحة، ولكن هذه النظرة لا تلقى قبولاً لدى الباحث المحايد. ولو أنه كان للقرآن تأثير عظيم فى تاريخ اللغة العربية وآدابها، وسنرى فى فصل خاص أن ضرورة حفظ أصل الكتاب الكريم سليما، وشرح غوامضه بعثت المسلمين على استنباط علم النحو واللغة، ودعَتْ إلى جمع شعر الجاهلية والأخبار التى لا بد قد تطرّق إليها الضياع. ولما استقر العرب — كفاتحين — فى سورية وفارس واختلطوا بالشعوب الغريبة عنهم، لم تلبث لغتهم محافظة على فصاحتها الأولى، أما فى بلاد العرب نفسها وخاصة بين بدو الصحراء فلم يكن الفارق محسوساً، وكذلك فى البلدان المجاورة ومراكز التجارة الكبرى كالبصرة والكوفة حيث كان معظم السكان من الأجانب الذين اعتنقوا الاسلام وسرعان ما استعربوا؛ وظل الباب مفتوحاً على مصراعيه لجميع ضروب الفساد. وقد أعلن علماء اللغة حرباً ضروساً على هذه العربيـة التى شابتها العجمة، وإن الفضل فى انتصار العربية الفصحى وتغلبها على الأخطار الجسام التى هددتها ليرجع إلى ما بذله هؤلاء من جهود، وبالرغم من أن لغة البدو الوثنيين لم تبق كما هى — أو ظلت على أى حال حية على ألسنة المتحذلقين والشعراء فحسب — إلا أنها أصبحت بعد تحوير قليل الوسيط العالى للحديث بين الطبقات العليا فى المجتمع الاسلامى، وفى مستهل العصور الوسطى كانت لغة الحديث والكتابة لجميع مثقفى المسلمين من أى جنسية كانوا: من بلاد الهند حتى المحيط الأطلسى، فكانت لغة البلاط والدين، ولغة الشرع والتجارة، ولغة السياسة والأدب والعلم، وفى القرن العاشر حينما ثل الغزو المغولى عرش الخلافة العباسـية وانفرط عقد الوحدة الاسلامية السياسـية لم تعد العربية Kolve أو اللغة العامة للعالم المحمدى، بل حلت مكانها لهجة سوقية فى

خذا حذراً يا جارتى فاننى ... رأيت جرانَ العود قد كاد يصلح
نخوفهما بسير قُدّ من صدر جمل مسن

ومن ذلك أن المرقش الأكبر لقب بهذا لقوله:

الدار قفر والرسومُ كما ... رقّش فى ظهر الأديم قلم

واسم المرقش ربيعة بن سـعد بن ملك

ومن ذلك أن مدرج الريح لقب بهذا لقوله:

ولها بأعلى الجزع رسمٌ دارس ... درجت عليه الريح بعدك فاستوى

فاذا نظرنا إلى هذه الأخبار المتناقضة فى ذاتها لم تشف غليلنا فى هذه النبوة المزعومة؛ وليس أمامنا فيها إلا اللجوء إلى ما سموه علم الجرح والتعـديل، وإنى لا أثق كثيراً بهذا العلم، لأنه مختلف أيضاً فى أمر رواة الأخبار، ولأنه يعتمـد على ظاهر أمرهم وهو لا يدل حقيقة عليهم

فلا بد من اللجوء إلى أمر آخر يشفى غليلنا فى أمر هـذه النبوة، وذلك الأمر هو الشعر الذى قيل فى العهد الذى يقال إن المتنبى ادعى فيه هذه الدعوى، وسنبدأ بهذا فى المقال الآتى

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

بلاد العرب وسورية ومصر وبعض الأقطار الناطقة بالضاد ، ولو أنها ظلت فى هذه الأمصار لغة الأعمال والأدب والتعليم . ونسمع اليوم من مصدر ثقة « أنها آخذة فى النهوض ، وأنها على وشك أن تسترد ثانية مكانتها الأدبية العظمى [١] » وهى إذا كانت تشغل — بالنسبة إلى هؤلاء المسلمين من غير العرب — نفس المكانة التى تشغلها اللاتينية والاغريقية فى الثقافة الأوربية الحديثة ، فينبغى ألا يغرب عن ذهننا أن القرآن (وهو أروع آثارها) يحفظه كل مسلم لأول ذهابه إلى المدرسة ، وهو يتلوه فى صلواته اليومية ، ويسيطر على مجرى حياته كلها إلى درجة يكاد لا يصدقها المسيحى العادى

وآمل أن يغفر لى القارئ تجاهلى — فى كتاب كهذا — ما يتعلق بالتاريخ العربى القديم الذى يمكن الالمام به من الآثار الأشورية والبابلية ، كما أن أى كتابة يحاول من ورائها دراسة العرب من سنة ٢٥٠٠ ق . م حتى بداية العصر المسيحى لأشبه بخريطة Cathay رسمتها يد سير جون ماندفيل ؛ بيد أن شعباً (غير سبأ أو حمير) من بين شعوب الجزيرة استطاع أن يترك أثراً أبقى من غيره ، ذلك هو شعب النبط الذين سكنوا المدن واحترفوا التجارة قبل ميلاد المسيح بزمن طويل ، وأسسوا مملكة « بترا » التى كانت رخية متقدمة فى الزراعة حتى كان عام ١٠٥ م حين ضربها ودمرها تراجان ، وكان هؤلاء الأنباط يتكلمون العربية بالرغم من أنه قد ورد خطأ فى أحد نقوشهم أنهم كانوا يستعملون الآرامية فى الكتابة [٢] ؛ ويخلط المؤلفون المسلمون بينهم وبين الآراميين إلا أن الدراسة العميقة لنقوشهم أثبتت خطأ هذه الفكرة التى أقرها كاترمير [٣] ، وإن كتاب « الفلاحة النبطية [٤] » الذى ألفه عام ٩٠٤ م الكاتب المسلم ابن وحشية الذى اعترف بأنه ترجمه من الكلدانية ، فقد ظهر الآن أنه مختلق ، وما أشرت اليه فى هذا المجال إلا كمثال للوسيلة التى يستعمل فيها المسلمون لفظ « نبطى » ، لأن العنوان المشار اليه حالاً لا يرجع بالطبع إلى بترا ولكن إلى بابل

من كل ما قيل يستطيع القارئ أن يلاحظ أن تاريخ العرب — وجل معلوماتنا عنه مقتبسة من مصادر عربية — يمكن تقسيمه إلى ثلاثة عصور

(١) العصر السبأى والحميرى من ٨٠٠ ق . م وهو تاريخ أقدم نقوش العربية الجنوبية حتى سنة ٥٠٠ م

(٢) العصر السابق للاسلام (أى من ٥٠٠ م — ٦٢٢ م)

(٣) العصر الاسلامى ويبدأ من هجرة الرسول من مكة إلى المدينة أى من سنة ٦٢٢ حتى الوقت الحاضر

أما عن العصر الأول الذى يتعلق بتاريخ اليمن أو بلاد العرب الجنوبية فليس لدينا مراجع عربية معاصرة له سوى النقوش ؛ كما أن المورد القيم الذى تمدنا به هذه النقوش على نقصه هو الأحاديث الواردة فى قصائد الجاهلية والقرآن وخاصة فى الأدب المحمدى المتأخر ؛ ولا مراء فى أن معظم هذه الأخبار أساطير ، ومن الأجدر أن يتجاهلها الباحث المشتغل بالبحث التاريخى ، ولكنى سأخصص جزءاً وافياً لدراستها ، خاصة وأن غرضى الأول هو التعريف بمعتقدات العرب أنفسهم وآرائهم

أما العصر الثانى فيسميه المسلمون عصر الجاهلية أو عهد البربرية [١] وتنطبع مميزات هذه الفترة فى دقة وأمانة فيما وصلنا من أغانى وقصائد الشعراء الوثنيين ، إذ لم يكن هناك إبان هذا الوقت أدب نثرى فكان من مهمة الشاعر التغنى بتاريخ قومه والافتخار بنسبهم ، وتمجيد استعمالهم للسلاح ، وتبجيل فضائلهم ، ورغماً من أن مقداراً عظيماً من شعر الجاهلية قد فقد إلى الأبد ، إلا أنه

---

(١) من مقال للأستاذ مرجليوث فى J. R. A. S لسنة ١٩٠٥ ص ٤١٨

(٢) Nöldeke: Die Semitischen Sprachen, p. 36 399 and. 51

(٣) راجع ما كتبه « Quatremère » فى « الجريدة الاسيوية » شهر مارس سنة ١٨٣٥ ص ٢٠٩ وما يليها

(٤) يقول الأستاذ إسرائيل ولفنسون بصدد هذا الكتاب « ألفه سنة ٢٩٦ هـ باللغة العربية أبو بكر أحمد بن على بن وحشية الذى كان من أسرة نبطية وثنية اعتنقت الاسلام وحسن إسلامها ونبغ بعض أفرادها . والكتاب خلاصة لنظريات المعتقدات الوثنية عند النبط والآراميين وما فيه مستمد من آراء عالم وثنى عرف عند ابن وحشية باسم كوثامى ؛ ومع أن كتاب الفلاحة النبطية يشتمل على معلومات ونظريات فى علم الفلاحة والنبات = فانه يحتوى على روايات وقصص عن حياة الأمم الوثنية البائدة فى الشام والعراق والديار الفارسية ... وكان العالم كاترمير يعتقد أن كوثامى المذكور فى كتاب الفلاحة النبطية من رجال القرن السادس ق . م . وقد عارضه فولسون Chwolson فى ذلك إذ بدا له أن كوثامى عاش فى القرن الرابع عشر ق . م أما المؤرخ أرنست رينان فيميل إلى أن معلومات ابن وحشية عن حضارة الأصنام الآرامية ترجع إلى القرون الأولى بعد الميلاد لذلك يؤثر أن يكون كوثامى ممن عاشوا فى ذلك الزمن أيضاً » (راجع موسى بن ميمون ص ١١٢ هامش رقم ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سبتمبر ١٩٣٦)

(١) فى الحقيقة أن الجاهلية تشمل كل الفترة منذ آدم إلى محمد ، ولكنها قد تستعمل — فى دائرة محدودة كما هو الحال هنا — للاشارة إلى عصر ما قبل الاسلام للأدب العربى

لا تزال لدينا بقية كبيرة (بإضافتها إلى ما وضعه علماء اللغة والآثار المسلمون من قصص تترى) تساعدنا على تصوير حياة هذه الأيام الغابرة تصويرا دقيقاً

أما أهم العصور الثلاثة وآخرها فهو تاريخ العرب تحت ظل الاسلام ، وينقسم طبيعيا الأقسام التالية التى ألمت بها فى هذا المكان حتى إذا ألقى القارىء عليها نظرة تبين من خلالها مجمل المظاهر السياسية المتعددة لهذا العهد المضطرب الدقيق الذى يقوم تجاهه ؛ وهذه الأقسام هى :

ا — حياة محمد

حوالى مستهل القرن السابع المسيحى ظهر فى مكة رجل من قريش هو محمد بن عبد الله بكتاب سماوى هو القرآن ، دعا قومه لنبذ الأوثان ولعبادة « الله الواحد » ، وقد ظل مثابراً عدة أعوام على الدعوة لدين الاسلام فى مكة على رغم ما لاقاه من سخرية القوم منه واضطهادهم إياه ، ولما وجد أن تقدم دعوته ضئيل هاجر عام ٦٢٢ م إلى بلدة مجاورة تلك هى المدينة ، ومنذ ذلك التاريخ كان النصر المؤزر حليفه ، وفى خلال السنوات العشر التالية دانت بلاد العرب جميعها لديانته ، ودعت بلسانها للإيمان الجديد

ب — خلافة الراشدين (٦٣٢ — ٦٦١)

بعد أن قبض الرسول (ص) تعاور حكم المسلمين بالتتابع أربعة من أعظم صحابته ، هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وسمى كل منهم خليفة ، ويعرفون عادة بالخلفاء الراشدين ، وفى ظلهم وبارشادهم ثبتت دعائم الاسلام فى شبه الجزيرة وخفق لواؤه بعيدا وراء الحدود ، أما أعداؤه من البدو فقد استقروا كمستعمرين حربيين فى السهول الخصبة من سورية وفارس ، وسرعان ما وقعت الأمبراطورية الحديثة النشأة فى حرب أهلية ، وكان مقتل عثمان إيذاناً باشتعال النضال بين طلاب الخلافة المتنافسين ، وتمسك على — صهر الرسول — بلقبه ، ولكن حاكم سورية القوى معاوية بن أبى سفيان أنكر خلافته ونافسه

ح — الدولة الأموية (٦٦١ — ٧٥٠)

لما سقط على صريعاً بضربة خنجر إعتلى معاوية عرش الخلافة الذى ظل وقفاً على أسرته تسعين عاماً ، وكان الفارق الوحيد فى الأمويين أنهم كانوا عرباً قبل أن يكونوا مسلمين ، وكان أثر الدين فيهم ضئيلا ، ولكن ظهر منهم بعض حكام أكفاء مهرة ، جديرين بأن يكونوا قادة جنس آمر . وقد بلغت الفتوح الاسلامية أقصى اتساعها عام ٧٣٢ م ، وكان للخليفة القائم فى دمشق قواده فيما وراء أكسوس والبرانس وعلى شواطىء بحر قزوين ووادى النيل ؛ وفى غضون ذلك كان بأس الدولة آخذا فى التدهور والانحطاط من جراء المنازعات السياسية والدينية القائمة فيها ؛ أما الشيعة الذين تمسكوا بحصر الخلافة فى على وأبنائه بأمر مقدس ، فقد ثاروا مراراً عدة ، وانضم اليهم المسلمون الفرس الذين كانوا يمقتون العرب والحكومة الأموية الظالمة ، كما كان العباسيون — وهم ذوو وشيجة قربى قوية بالرسول — قادة الاضطراب الذى انتهى بخلع البيت الحاكم نهائياً واستئصال شأفته

ى — الدولة العباسية (٧٥٠ — ١٢٥٨)

كان العرب حتى ذلك الوقت أصحاب السلطان فى المجتمع الاسلامى ، وقد شمخوا بأنفهم تيها على المسلمين من غير العرب وازدروهم ، ولكن انعكست الآية بعد ذلك ، إذ نجد أنفسنا قد انتقلنا من عصر العصبية العربية الى عصر النفوذ الفارسى والثقافة الجامعة ، وكان صفوة القوات العباسية من فرس خراسان ، وشاد العباسيون «بغداد» عاصمتهم الزهراء على أرض فارسية ، ونال أشراف الفرس أسمى مناصب الدولة وأرفعها فى بلاط بنى العباس ، وإن لم تكن الدولة الجديدة دينية ، إلا أنها كانت على الأقل حدبة على الدين مجتهدة فى أن تحيط نفسها بمظاهر الورع ، ونسى العرب والفرس حينا ما بينهم من خلاف وفروق ، وتعاونوا جميعاً كما ينبغى على المسلمين الأتقياء ، ولقى التعليم تشجيعا عظيما ، وكان هذا العصر العصر الذهبى للاسلام ، وقد بلغ أوجه أيام هرون الرشيد الزاهرة (٧٨٦ — ٨٠٩) . ولما مات تداعت عمد السلام مرة ثانية ، وابتدأ نجم الأمبراطورية القوية البأس فى المغيب ، وأخذت المقاطعات تنسلخ واحدة بعد أخرى عن الخلافة ، وتقتطع نفسها منها ، ومن ثم ظهرت دول مستقلة كثيرة ، بينما صار الخلفاء دمى فى أيدى الجند الأتراك ، وظلت معظم الأقطار الاسلامية معترفة بسيادتها اسمياً ، ولكن منذ أواسط القرن التاسع لم يعد لهم إلا القليل منها ، أو لم يعد لهم شأن مطلقاً

(يتبع) ترجمة محمد حسن حبشى

مشرقيات

فى الأدب العربى الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقوفسكى

الأستاذ بجامعة لينتجراد

— ٣ —

وهنالك محـاولات فردية بذلت فى سبيل كتابة القصة الاخلاقية (سعيد البستانى ويعقوب صروف) . والقصة النفسية (فرح أنطون ١٨٧٤ — ١٩٢٢) ، وإن كانت لم تضارع قصص زيدان فى مضمار النجاح

لـكن معين القصة التاريخية عند العرب لم ينضب بعد كما يتضح من قصة « ابنة المملوك » التى وضعها فى عام ١٩٢٦ القصصى المصرى محمد فريد أبو حديد . وهى من نوع يختلف كل الاختلاف عن قصص زيدان ، بل إنها وصلت من بعض الوجوه الى مستوى أعلى

أما الأقصوصة فقـد رأت النور فى مصر بخلاف القصة التاريخية ، ولا بأس من ذكر المحاولات التى بذلت فى سوريا ، ولـكن ما كتب هناك من الأقاصيص كان قاصرا على طبقـة المبتدئين . فقد شرع جبران خليل جبران وهو فى شرخ الشباب فى كتابة الأقصوصة على سبيل التمرن ، لـكنه لم يعد الى ممارسة هذا النوع من الـكتابة . أضف الى ذلك أن المجال لم يفسح لهذا النوع الجديد فى مصر إلا ببطء كبير . ولقد حاول الجيل القديم أن يستعمل أسلوب المقامات فى النقد الاجتماعى ، كحديث عيسى ابن هشام لمحمد المويلحى المتوفى فى عام ١٩٣٠ ، وهو ابن الصحفى النابه ابراهيم المويلحى (١٨٤٦ — ١٩٠٦) . أما المحـاولات الأخرى (عائشـة التيمورية ومحمد حافظ ابراهيم) فقد كانت أقل توفيقاً . وهناك مؤلف معروف جرّب حظّه فى الأقصوصة ، هو المنفلوطى ، وكانت أقصوصته تارة موضوعة ، وتارة أخرى منقولة بتصرف ، لـكن كتابته امتازت بجمال التنسيق وسلامة الأسلوب دون دقة الموضوع أو البراعة القصصية . أما محمد تيمور الذى توفى فى شرخ الشـباب (١٨٩٢ — ١٩٢١) فيمكننا أن نعـده منشىء الأقصوصة المصرية ومبتكر التصوير الواقعى للحياة الاجتماعية الحديثة . فقد كان ملماً كل الالمام بالآداب الأوربيـة ، قوى الملاحظة ، دقيقاً . فوضع أقاصيص صغيرة مأخوذة من صميم الحياة المصرية ، بأسلوب يحاكى أسلوب موباسان أو تشيكوف تحت هذا العنوان « ما تراه العيون »

وتقدمت الأقصوصة خطوات إلى الأمام فى مؤلفات شقيقه محمود تيمور (المولود فى سـنة ١٨٩٤) وهى مجموعة فى ستة مجلدات[1] . وأقاصيص محمود تيمور واقعية كأقاصيص شقيقه محمد ، لـكنها أكثر تنوعاً ، وأعمق تحليلاً ، وأفصح لغة ، وأسهل أسلوباً

وقد أثر فن التيموريين القصصى تأثيراً كبيراً فى جيـل الـكتاب المعاصرين ، ولنذكر منهم : أخوى عبيد ، المرحوم عيسى عبيد المتوفى عام ١٩٢٤ ، الذى وضع مجموعتى « إحسان هانم وثريا » ، وشحاته عبيد الذى كتبَ « درس مؤلم » ، وطاهر لاشين مؤلف « سخرية الناى ، ويحكى أن ... وحواء بلا آدم » . وهى مجموعة قصصية امتازت بالطلاوة والفكاهة ، ومحمد أمين حسونه مؤلف « الورد الأبيض »

ومن المميزات الجديرة بالملاحظة أن هذا النوع من الأدب وجد أنصاراً مخلصين فى البلاد العربيـة ، وجلها تأثرت بمصر إلى مدى بعيد

وفى العراق كاتبان ذاعت شهرتهما إلى ما وراء وطنهما هما : محمود أحمد (المولود فى سـنة ١٩٠١) ، وقد وضع قصة طويلة بعنوان « خالد » ، ومجموعة باسم « الطلائع » وأخرى موسومة « فى ساع من الزمن » ، والقصصى العراقى الثانى هو أنور شاؤول الذى كتب مجموعة « الحصاد الأول »

ولقد ظهرت الأقصوصة العربيـة فى أمريكا « المهجر » فى الوقت الذى ظهرت فيـه فى مصر ، وربما قبل ذلك ، ولنذكر أولاً عبد المسيح حداد الذى كتب أقاصيص صغيرة كلها فكاهة

(١) بلغت مجموعة محمود تيمور القصصية إلى الآن ثمانية مجلدات وهى : الشيخ جمعة ، وعم متولى ، والحاج شلبى ، والشيخ سيد العبيط ، ورجب أفندى وأبو على عامل ارتست ، والأطلال ، والشيخ عفا الله (المترجم)

بعنوان «حكايات المهجر» وهى تكاد تكون صوراً سريعة للحياة العربية فى أمريكا ، وقد أخذ المؤلف كثيراً من روح أقصوصات جبران ، وهناك أيضاً ميخائيل نعيمه الذى خصص فى أقصوصته النفسية مجالاً واسعاً لتحليل الروح تحليلاً عميقاً ، متأثراً بالأدب الروسى فى القرن التاسع عشر

***

إذا استطعنا القول بأن الأقصوصة العربية الجديدة وجدت أمامها الطريق اللائق بتقدمها وازدهارها حتى بلغت المكانة الجديرة بها ، فان القصة لم تصل إلى هذا المدى من النشاط ، وكل ما رأيناه فى هذا المضار هو بعض محاولات طفيفة

وقد استهل هذا النشاط بقصة « زينب » ، وهى قصة طويلة وضعها فى عام ١٩١٤ محمد حسين هيكل بك الذى أصبح فيما بعد صحفياً وأديباً نابهاً ، وموضوعها منقول عن الحياة الريفية فى مصر . أما من حيث اللغة والأسلوب وطريقة الكتابة فقد فتحت فتحاً جديدا ، إذ امتازت القصة بأسلوبها الطبيعى الخالى من الصناعة والتكلف ، لكنها رغم ذلك لم تلفت الأنظار فى بدء ظهورها

ووضع الدكتور طه حسين (المولود فى سنة ١٨٨٩) قصة دعاها « الأيام » فى عام ١٩٣٧ ، وسار فيها على أسلوب الأخبار العائلية ، وهى تصف طفولة صبى مصرى يافع ، عاش فى قرية صغيرة على ضفاف النيل ، والقصة جديرة حقاً بالتقدير ، لا من حيث الوصف الحى للحياة الواقعة فحسب ، بل كمؤلف أدبى من الطراز الأول فى اللغة والأسلوب وطريقة الرواية

أما مجموعة القصص الثلاث لتوفيق الحكيم فقد رسمت لها خطة واسعة النطاق ، ولم ينشر منها حتى الآن سوى القسم الأوسط « عودة الروح » فى جزءين (كتبا فى سنة ١٩٢٧ ونشرا فى سنة ١٩٣٣) ، وقد خصص هذا القسم للحوادث التى توالت على مصر ابتداء من عام ١٩٢٠

وكان لظهور توفيق الحكيم فى سماء الأدب أحسن وقع لما امتاز به من التعمق فى الفن الروائى ، وبراعة الوضع ، وسلاسة اللغة ؛ وهذه الأمثلة تحملنا على أجنحة الأمل وتدفعنا إلى الاعتقاد الجازم بأن القصة ستحل قريباً المحل اللائق بها فى الأدب العربى الحديث

ح — المسرحية (الدرامة)

لم تنبت المسرحية العربية الجديدة من أصول محلية ، شأنها فى ذلك شأن القصة (فهى لم تأخذ شيئاً من المقامة أو القراقوز أو أسرار الدين الشيعى) . وقد شاع فن التمثيل بين الطلبة بفضل الحفلات السنوية التى كانت تقيمها المدارس الأوربية ، واعتاد المدرسون أن يضعوا بأنفسهم المسرحيات التى يقوم الطلبة بتمثيلها إذ كانوا يختارون موضوعاتها من التوراة أو من التاريخ اليونانى والرومانى القديم « الكلاسيك » ، وأخيراً من ماضى العرب

لم يقتصر المسيحيون وحدهم على توجيه عبقريتهم نحو هذا النوع ، بل اشترك معهم المسلمون . ففى سوريا ، كتب ابراهيم الأحدب مسرحيتى « اسكندر المقدونى » و « ابن زيدون الأندلسى » ، ووصل فن المسرحيات الهزلية الأخلاقية إلى نتائج جديرة بالثناء منذ أوائل عهد النهضة الأدبية ، بفضل التأثير الأوربى ، فقد زار الكاتب السورى مارون نقاش (١٨١٧ — ١٨٥٥) إيطاليا عدة مرات ، واطلع على مؤلفات موليير ودرس حالة المسرح الايطالى الجديد . وما إن عاد إلى وطنه حتى شرع فى كتابة ثلاث مسرحيات هزلية على أسلوب موليير ، وعهد بتمثيلها إلى فرقة من الهواة ، وفى اثنتين منهما صور المؤلف الحياة السورية الحالية . أما الثالثة فهى مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » ، وقد نالت تلك المسرحيات بعض النجاح ، لكن بعد وفاة المؤلف وهو فى ريعان الشباب ، لم يحاول أحد أن يسير على خطته ، اللهم إلا فى بعض المسرحيات الهزلية الصغيرة التى وضعها طنوس الحر (عام ١٨٦٠) فانها لم تصادف من النجاح إلا القليل

وبعد مضى عشرين سنة ألف الكاتب السورى أديب اسحاق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) فرقة تمثيلية صغيرة بمدينة الأسكندرية ، وهو شقيق سليم النقاش المتوفى عام ١٨٨٤ ، واتجهت الميول وقتئذ شيئاً فشيئاً إلى المأساة شبه الكلاسيكية . وكان أغلب أنصار هذه النزعة من رجال حلقة اليازجى والبستانى

وأول ما ظهر من المآسى « المروءة والوفاء » ، لخليل اليازجى (١٨٥٦ — ١٨٨٩) ، وهى قطعة شعرية مستقاة من حادث معروف فى أساطير الأدب الجاهلى . وبعد نجيب حداد

(١٨٦٧ — ١٨٩٩) من أغزر الكتاب المسرحيين فى هذا العهد إنتاجاً ، فقد ترك ست عشرة رواية مسرحية ، أغلبها منقول بتصرف عن مؤلفات كورنى وفيكتور هيجو واسكندر دوماس وشكسبير ، لكنه ليس من السهل غالباً العثور على الأصل . وكتب أيضاً بعض تراجيديات من وضعه ، وهى لا تختلف عن سابقتها فى النوع ، نذكر منها « صلاح الدين » و « ثارات العرب » . ونالت مسرحيات حداد إعجاب الجمهور إذ ظل يتذوقها ويفضلها على سائر المسرحيات العربية حتى نشوب الحرب العظمى ، وإن كان الأوربيون يعتبرونها فطرية وغير متناسقة مع حاجات المسرح

وحاول الكاتب المصرى محمد عثمان جلال (١٨٢٩ — ١٨٩٨) أن ينفث روحاً جديدة فى المسرحية الهزلية الأخلاقية ، وفيما عدا ترجمته لمسرحيات راسين وكورنى إلى اللغة العربية الفصحى ، عزم هذا الكاتب على تنفيذ فكرة جريئة ، هى نقل مؤلفات موليير إلى اللهجة المصرية العامية مع مراعاة الأحوال الأخلاقية المصرية

لسنا ننكر أن محاولته تدل على مهارة فائقة وعبقرية ناضجة ، ولكن اللهجة العامية كانت غريبة على المسرح الذى لم يألفها ، ولذا لم تمثل مسرحياته إلا فى سنة ١٩١٢

تلك هى أهم البواعث التى يعزى إليها قصور التأليف المسرحى العربى على النوع شبه الكلاسيكى

لما جاءت سنة ١٩٢٠ كانت بعض الروايات مترجمة وبعضها موضوعة على طريقة نجيب حداد ، الذى كان قد أفسح المجال لعدة مؤلفين قديرين نسجوا على منواله . أما بعد سنة ١٩٢٠ فقد بدأ عهد جديد للأدب المسرحى فى مصر بفضل جهود محمد تيمور الذى تحدثنا عنه فى صدر هذا المقال

كان الفن المسرحى موضع عنايته الخاصة ، وطالما كتب عن المسائل الخاصة بنظريات الفن المسرحى وتاريخه ، كما أنه وضع عدة منولوجات لإلقائها على المسرح ، وقد ترك أربع روايات مسرحية : روايتين هزليتين ، ودرامة وأوبريت [١] . أما حوادثها فتجرى كلها فى مصر الحديثة ، عدا الأخيرة فهى مقتبسة عن مصر فى عهد المماليك

(١) هى : العصفور فى القفص ، والهاوية ، وعبد الستار افندى ، والعشرة الطيبة (المترجم)

ومسرحيات تيمور تمتاز بالروح القوى ، وتراه يدب فيها بفضل استعماله اللغة المصرية الدارجة ، كما أن صفاتها المسرحية العظيمة جديرة بالتسجيل ، ولا شك أنها فى مقدمة المسرحيات المعبرة عن الحياة العصرية ، وهذا من أقوى البواعث التى يعزى إليها نجاحها

وفيما عدا هذه المسرحيات ، فقد نجح ميخائيل نعيمه فى المهجر ، وفى وضع مسرحية هزلية أخلاقية ، امتازت بما فيها من التحليلات النفسية الاخلاقية الرائعة ؛ هى رواية « آباء وأبناء » — ١٩١٧ — ووقائعها مأخوذة عن الحياة السورية العصرية ، وخصصت المقدمة لمسائل مبدئية ، مما يدل على اهتمام المؤلف اهتماما جديا بالمشاكل التى يثيرها التأليف المسرحى ، ولاريب فى أن هذه الجهود تعد فاتحة خير للفن المسرحى العربى

والمسرحيات المصرية التى وضعها أنطون يزبك (خصوصاً الذبائح) المكتوبة باللهجة العامية ، تدل على تقدم مطرد بالنسبة لسابقاتها . وقبيل عام ١٩٣٠ حاول الشاعر الكبير أحمد شوقى بك أن يعيد الى التراجيدية شبه الكلاسيكية رونقها وبهاءها ، فخلف بعد وفاته عددا من المسرحيات الشعرية المنقولة عن التاريخ المصرى القديم أو تاريخ العرب [١] ونجحت هذه المسرحيات نجاحا باهرا بفضل تناسق روحها الشعرية الجميلة المكتوبة بأسلوب عربى قديم صحيح « كلاسيك » فجاءت مطابقة لذوق الجيل الحالى ، وإن كانت لا تعد تقدما فى تاريخ المسرح العربى

(يتبع) ترجمة محمد أمين حسونة

(١) هى : كليوباترا وقبيز وعلى بك ومجنون ليلى وأميرة الأندلس

الى الوفد السوري

أيها الظافر المتوج بالنور !

للشاعر (أبو غسان)

أقبل الفجر يا هزار ومَنْ منـ   ـك ومني بمتعة الفجر أحرى
ماترى الورد قد تفتح للنو   ر وقد أوشك الندى أن يفرا
والشحارير قد تيقظن للشد   و وأيقظن في الخمائل عطرا
والفراشات قد جرين إلى الحق   ل يفيض النثير عنهن تبرا
وسرت رعشة الحياة إلى الكو   ن تهز الوجود أنساً وبشرا
موكب من مفاتن وجلال   هب يستقبل الصباح الأغرا
موكب للجمال، للحق، للحب   ترفُّ المنى حواليـه سكرى
طِرْ بنا يا هزار نلتمس الرو   ض فقد آن للأسى أن يُسرَّى
ننفض الصبر والأسار فقد كد   نا، رعاك الإله، نهلك صبرا
نحن في هدنة الكفاح مع الليل   وقد يعقب الكفاح الأمرّا
فتعجل شـذا الصباح فما تد   ري لعل المساء يحدث أمرا
كم ترقبت ذا الضياء وقد جن (م) عليك الدجى أذى واكفهرا
وشكوت الظلام يصهر جنبيـ   ـك عذاباً ويفعم الأرض ذعرا
فاستمع للبشير يا لدة النفـ   ـس يساقط عليك أسعد بشرى
ينضح الأفق بالسناء فتفتر (م) الروابي ويرقص الدوح سكرا
ويغنى الأرواح بالأمل العذ   ب فتهفو الأرواح لله شكرا
هو فجر الخلود إثر دياج   غمرت بالفناء عشك دهرا
هو فجر الأحلام منَّ به الله (م) على أنفسٍ إلى الفجر حَرّى

* * *

أي بشير السماء: ألأرضُ قد ضا   قت لك الله بالتنظُّر صدرا
هاتها نفحة من النغم الحلـ   ـوِ ترجعْ ذوابل الحلم نضرا
هات ماشئت عن وفادة باريس   وأحدث مما هنالك ذكرا
هل عنا الخصم بعد كبر وهل آ   من بالحق بعد كفر وبرا
وصراخ الضعيف هل لقي السمـ   ـع وقد طالما نأى عنه وقرا
وهل القوم أيقنوا أن في الشا   م أباةً لا ترتضي العيش أسرا
قد نماها إلى العلاء أماجيـ   ـد لهم في الزمان أمجد ذكرى
لقنوا الكون برهة مثل العد   ل وفاقوا الأنام عزماً وفكرا
وأفاضوا على دُنى الغرب بالنو   ر وكانت، إلا من الجهل قفرا
والأمانيُّ يا بشـير أحقًّا   شوهت حسنها الثعالب مكرا
أم أراجيف ذو الضلالة قد دس (م) لظاها على الحقيقة كفرا
فأزل باليقين من يدك الريـ   ـب وأدرك به النفوس فتبرا
قد شرى الشعب بالدماء أمانيـ   ـه فلا غرو إن غلا الشعب حذرا
ولأنت الحكيم يا قائد الشعب   وحاشاك أن تزلّ وتغرى
إن في وجهك النبيل من العز   لآيا على جبينك تُقرا
وبكفيك من جراح العوالي   لخضاب الكمى أحرز نصرا
أولست الصفيَّ من حرس الجد   عركت الأيام مداً وجزرا
فيك من قلب (هاشم) حكمة الدهـ   ـر ودنيا من رأس (فارس) أخرى
وبك العبقري من دوحة الصلـ   ـح يروع النهى جلالاً وسحرا (١)
ومن «السعد» عزمة الليث قد سيـ   ـم اعتسافاً فطبق الجو زأرا
ودهاء ابن «مردم» في السياسا   ت ومن ثمَّ كان «مردم» خبرا
همم تصـدع الجبال وتنهد   لديها معاقل الدهر حسرى
ليس بدعاً أن تسترد إلى الر   بع سليب الرجاء والحق قسرا

* * *

أي بشير انظر الخلائق يكتظ (م) بها الرحب كالخضمات زخرا
زحفت من جوانب الأرض تجتا   ز إليك الدروب سهلاً ووعرا
ترهف السمع ترقب النبأ الأعلى   وترنو إليك تسأل بشرى
ملت العيش في القيود فما تأ   لو كفاحاً أو تنزع العيش حرا
راعها الأفك من حضارة أورو   با تجنى على الحضارة وزرا
تحجب المخلب المحدد بالصبـ   ـغ خداعاً وتزعم الخير شرا
وستراق الشعوب أمناً وتحر   يراً وقتل الأرواح بالرق نشرا
فمشت تنشد الحياة لتمحو   وصمة الغرب بالحضارة غدرا

(١) رياض بك الصلح

تستمد اليقين من شرف الأمـ ـس وتنضو إلى الغد العزم بكرا
فتوقل بها ذرى المجد تطلع فى سماء التاريخ ما شئت فخرا
جادلتك الخصوم فيها وما كنـ ـت لتعيى وأنت أكرم عذرا
فأقم للخصوم فى مقبـل العهـ ـد على قدرها الدليل الأغرا
وأدر دفة السفينة تجنبْ عاصفاً يرمق السفينة شزرا
لأرى الأفق قد تلبد بالسحـ ـب وقرن الخلاف فى الركب ذرا
شرر يستطير فى الوطن الباكي وخطب يكاد أن يستحرا
فتـدارك بالمبضع الداء فى المهـ ـد وإلا فياله الله أمرا
واصطلمها فوضى يسعرها الطيـ ـش على الحى ذو الحماقة غرا (١)
قد ختمت اليوم الجهاد صغيراً وبدأت الجهاد أكبر حرا
إن يك العهد فى النضال عسيراً إن عهـد البناء أوفر عسرا
ولأنت المرجو إن حزب الدهـ ـر وأعظِم « بكتلة » الحزم ذخرا

***

أيها الظافر المتوج بالنو ر تباركت للهداية بدرا
قد مَهدْتَ السبيل للهدف الأسـ ـمى ووفيت جهدك العهد برا
فتقبل تحيـة الساحل الشا كر عصماء صغتها لك شعرا (٢)
حرة لم تهم بغيرك عرساً وَهْيَ تأبى إلا رضاءك مهرا
حفها بالحياة والروح غرا ن بهم أنت والمـكارم أدرى
من بقايا سيوف « فيصل » فى الشط
رعى الله عهـد « فيصل » ذكرى
الشبين ثورة الجبـل السا
مى دجى الأمس والشدائد تترى (٣)
جبناء اللسان فى زمن القول وأسدُ الوغى إذا الهول كرا

***

وعظيمٌ تحية الوطن المفجوع يمناه فى مدى الروع تُغرى
يملى بمقـلة فرح الشا م وتبكى منه فلسطين أخرى
غرقت بالدماء فى الحرم الأ قصى وعاثت بها يد اللص غدرا
تتلظى حمراء فى « جبـــل النا ر » وتهوى بجانب « المهد » كسرى
تسأل الغوث أهلها فاذا الغو ثُ من الأهل كالقطيعة نزرا
لـكأنى بالقوم قد حسبوا الحق عطاء والواجب المحض برا
وكأن لم تـكن فلسطين للاسلا م قلباً وللجزيرة طرا
أيبيت الأحرار فى حُفر الأر ض ونأوى إلى القصور مقرا !
وتعانى الطوى ويُتخمنا الشبـ ـع ، ونختال فى الحرير وتعرى !
ونصبُّ الاموال فى سُبل اللهـ ـو ونشكو إذا دعا المجد فقرا !
نوّر الله يا دمشق محيا كِ ولا زلت للعروبة ظئرا
قد شفيت الأخاء نحو فلسطين وقاسمتها الاسى مستمرا
فأعدى ، وقد فرغت ، لها الجهـ ـد جديداً والعون أعظم قدرا

(اللاذقية) «أبو غسان»

(١) الطيش بالنصب مفعول لأجله ومنه قول الشاعر : شنوا الأغارة فرسانا وركبانا

(٢) الساحل هو منطقة اللاذقية التى كانتْ مفصولة عن أمها دمشق فردتها المعاهدة

(٣) ثورة الجبل العلوى المعروفة سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ بقيادة الشيخ صالح العلى

القصص

نـــومان ...

— مكانكم !

لويت عنان فرسى نحو مصدر الصوت الآمر ، ولكن العثير الذى أثارته حوافر الشياه حال دون أن أرى شيئاً ، وصبرت قليلاً فلاح لى خلال ذرات التراب الحائرة أربعة أشباح قد اعترضت سبيل الماشية فحالت دون سيرها ، ولما همد الغبار تبينت فى الأربعة الأشباح أربعة رجال قد ضرب كل منهم لثامه على وجهه فلم يبن منه إلا عينان كعينى الصقر ، وتمنطق كل منهم بحزام من الرصاص لمعت ظروفه النحاسية تحت أشعة الشمس المائلة للمغيب ، وسدد كل منهم فوهة بندقيته الكامدة نحونا ، لا يتحرك ولا تطرف عينه

وانطلق الصوت الآمر مرة أخرى أجش :

— مكانكم قبل الهلاك ! ...

وأدرت رأسى ببطء نحو رفاق فى رحلتى ، وكانوا أربعة نفر من جنود الشرطة السورية ، فتبينت وجوهاً علاها الاضطراب ، ورؤوساً منكسة الأذقان ؛ ورأيتهم وكل قد خفض بصره فزعا ، يخالسون الأنظار ويسترقون الرؤية ؛ فكدت ، أنا موظف الحجز فى محكمة « الرقة » أتهقه فى الموقف العصيب من أمر هؤلاء النفر ، يرتعدون هلعاً وفى كتف كل منهم بندقية كأنما علقت إشارة ناطقة على الجبن والخور

وساد صمت قصير لم يقطعه إلا حوافر الخيل تضرب الأرض ، وارتفع بعدها الصوت الأجش :

— هذا الطريق إلى « الخان » فدونكموه ... هيا !

سكت أصحابى ولكنى قلت مستفهماً :

— وهذه الماشية المحجوزة ؟

— هيا ... الماشية لنا ...

كان جواباً حاسماً ، ولكن رئيس الجنود جمع شتات شجاعته وصاح معترضاً :

— وكيف نتركها لكم ؟ هذا لن يكون

وقبل أن يلفظ الحرف الأخير دوى صوت الطلقة التى أطاحت قبعته ...

— هاء ! هيا سيروا ، ولا يلتفتن أحد وراءه ...

وكان أول من لكز حصانه رئيس الجنود وقد ملكه الذعر فأرسل العنان لفرسه لا يلوى على شىء ، وأرسلنا الأعنة لخيلنا ، نريد أن نبلغ « الخان » قبل المغيب

***

لاحت لنا بيوت الشعر من قرية الخان وبين الشمس وبين أن تغيب قليل ، وكانت خيولنا تسير ببطء وتثاقل ، كأنما تحس بما عليها من عار وخزى ، وكان الجنود ساهمين لا ينبس أحدهم ببنت شفة ، فكأن الخوف والخجل تكاتفا على إظهارهم بمظهرهم هذا الذليل ؛ وسرت خلفهم منعزلاً عنهم أفكر فى هذه المهزلة التى أكرهنا على تمثيلها . فلما لاحت لى أطلال « الخان » العتيق تحيط بها بيوت الشعر عنت لى فكرة ، فعزمت على أمر

تلقانا مختار [1] القرية ، الذى كنت به وبأهل قريته عارفاً ، بخير ما يتلقى المرء ، ولما ترجلت انتحيت به ناحية وقلت له :

— أريد نومان

فرفع إلى رأسه ثم ألقى على أصحابه الجنود نظرة أعادها إلى فى دهشة وتساؤل ، فتبسمت وقلت :

— لا تخش شيئاً ، لست أجهل أن نومان طريد الحكومة ولكنى أطلبه

فحرك كتفيه باستسلام وقال :

— كما تشاء

ومضى ، ولم تكن إلا برهة حتى عاد وأسر إلى : « هو سينتظرك عند الجدار الغربى من الخان » ، فيممت المكان الذى

(١) مختار القرية السورى هو عمدتها للمصرى

ذكر ، فلاح لعيني فتى طويل القامة متين البناء ، ملق عباءته على رأسه ، ومرخ لثامه على وجهه ، وفوق منكبيه تنوس ضفيرتان بلون الليل على ثيابه البيضاء ، قد اقترن حاجباه فوق اللثام ، ولاح مقبض خنجره خلف الحزام ؛ ومذ رآني خف إلى مصافحاً فتعانقنا ، وبادرته :

— هيه يا نومان !

فأجابني صوت صافي النبرات رنان :

— يا لبيك ! ما وراءك ؟

فأخبرته الخبر وما سينجم عنه ، ثم قلت له :

— أنت وما ترى ، فلقد طرحت الأمر عن عاتق

فلمحت الابتسامة خلف اللثام الكثيف ، وقال بلهجة الحازم الواثق :

— لعينيك أبا خالد ، فسيبلغك خبري ...

وابتعد عني يتخطى الأطناب متغلغلاً بين البيوت ، وعاد بعد يسير ممتطياً صهوة فرسه وقد تمنطق بحزامين من الرصاص وبندقيته في يده ، فلما بلغ موقفي لكز الجواد وجال على ظهره جولة ثم قذف بالبندقية في الهواء وتلقفها بأصابعه والجواد يعدو ، ثم هتف بي :

— إلى اللقاء ، فانتظرني

وأتبعته نظري وقد سار في الطريق الذي جئنا منه حتى حجبه عن عيني الغبار الثائر

***

تعددت الطلقات تمزق سكون الليل البهيم ، فانتبه رفاقي بعد أن أخذ الكرى بمعاقد أجفانهم فهوموا ، وأرجف من في مضيف المختار من رجال القرية أسماعهم إلى الأصوات برهة ، ثم انصرفوا إلى ما هم فيه من حديث ؛ أما المختار فقد نظر إلى نظرة المستفهم ، فأجبته بابتسامة الخبث وقد فهمت ما يريد ؛ فهز رأسه وتمتم بكلمات غير مفهومة . وكانت أصوات البنادق لا تزال تلملع حيناً بعد حين ، آناً متفرقة وطوراً متوالية متقاطعة ؛ وبعد هنيهة سكت كل شيء ، فوجب قلبي وتوجست خوفاً من هذا السكون ، وقد حدثتني النفس بمصاب نومان ، غير أني طردت أفكار السوء وخرجت من المضيف

كان ليل البادية زاهياً ، بنجومه الوضيئة المنتثرة في نواحي السماء الزرقاء ، ونسيم أول الربيع البليل يعبث بأروقة البيوت وكواسرها ، وعواء الكلاب يتردد في أطراف المنازل تارة وينقطع أخرى ، ولاح لي « الخان » كشبح جبار أسود جاثم في الفلاة المترامية الأطراف ، فوضعته نصب عيني وأصخت بسمعي إلى الطبيعة الساكنة .

كم هي رهيبة هذه القناطر المعقودة والأقواس المتتالية في ردهات « الخان » العتيق !

كم هي مهيبة هذه الأعمدة المتوازية التي تملأ أبهاءه مشققة السطوح مهشمة الرؤوس ! وهذه الجدران التي لم يذهب من حجارتها ، على كر القرون والعصور ، إلا ما أخذ أثافي للقدور وأركاناً للمواقد ! لقد جلت في قاعات هذا القصر القديم ونظرت خلال خروق السقوف من غرفة إلى الكواكب الزاهرة ، ثم رقيت الجدار وأرسلت بصري يجوب أنحاء البادية ، ولكن عيني لم تقع إلا على فلاة موحشة سوداء ونجوم تليها نجوم لا يبلغها حصر ، ويعيا عن عدها الفكر .

وانتابتني الهواجس مرة أخرى ، ولكن الغبار القاتم الذي ثار عند مدّ البصر قشع غيومها ؛ فقد ميز سمعي في هدأة الليل وقع حوافر الشياه على رمال الطريق فانجابت عني الشكوك وملأ قلبي الفرح وقد تبينت صوت نومان يحث الشياه على المسير .

ونبحت الكلاب هذا الفوج من الطارقين فأوقدت النيران وحمل كلّ قبساً ليتبين هذه الغبرة الغريبة ، فلما اقترب القادمون رأيت على ضوء المشاعل منظراً يملأ الصدور حبوراً ويثير العواطف والشعور : قطيع من الغنم يتلوه أربعة رجال مشمرو المآزر ملثمو الوجوه ، قد كتفت أيديهم من خلاف وعلقت بنادقهم في الأعناق ، يسوقهم سوق الماشية فتى متين الهيكل ، شديد الأسر ، ملطخ الثياب بالدماء القانية ، قد اعتلى صهوة جواد أشقر ، تنوس على كتفيه ذؤابتان طويلتان كلما حرك رأسه ليرد تحية محيّ

قفزت عن الجدار وعدوت أشق الجموع إلى نومان هاتفاً

— الذبّةَ الذبّةَ أبا صخر !

— ابشر اتاكُ الخير . . .

ومد ذراعيه فاعتنقته .

كان لهيب النار الموقدة في ساحة « الخانة الكبرى » يتلوى كرؤوس الثعابين فترقص له الظلال على الأقواس الرهيبة والأعمدة المرمرية الهائلة ، وكان نومان قائماً في وسط الساحة معتمداً على بندقيته ينظر إلى أسراه نظر الصقر إلى الفريسة ، كرمز للبطولة والنبل .

البريد الأدبي

نقل تراث الأندلس من الاسكوريال

فى الأنباء الأخيرة عن الحرب الأهلية الأسبانية أن حكومة مدريد قد نقلت على جناح السرعة جميع التحف الفنية والكتب الخطية من دير الاسكوريال إلى مدريد خوفاً عليها من التلف الذى تتعرض إليه من جراء الحرائق والقنابل ، ونحن نعرف أن قوات الثوار تحدق الآن بمدريد وأنها على قيد مسافة قليلة من ضاحية الاسكوريال ، وقد وقعت أخيراً حول الاسكوريال عدة معارك طاحنة . وفى تصرف حكومة مدريد ما يدعو إلى الثناء خصوصاً إذا علمنا أن بين هذه التحف الفنية التى نقلت إلى مدريد مجموعة الكتب الأندلسية التى كانت محفوظة بالاسكوريال ؛ ويبلغ عدد هذه المخطوطات النفيسة التى هى آخر بقية من تراث الأندلس الفكرى نحو ألف وتسعمائة مجلد ؛ بيد أن نقلها إلى مدريد لا يبعد عنها كل الأخطار المحتملة ، ذلك لأن مدريد أصبحت محصورة بالقوات الثائرة من كل ناحية ، وقد لا تمضى أيام قلائل حتى تسقط فى يد الثوار ، وعندئذ يعلم الله وحده ما يصيب المدينة وكل ما فيها من ألوان التخريب ، غير أن هنالك من جهة أخرى ما يحمل على الاعتقاد بأن حكومة مدريد تعنى بنقل جميع هذه التحف الفنية إلى مكان أمين بعيد عن العاصمة ، وربما نقلت إلى برشلونة حصن الحكومة الديموقراطية وملاذها بعد مدريد ، وهى أبعد ما يكون عن الخطر . فاذا صح ذلك كان باعثاً إلى نوع من الاطمئنان على هذا التراث النفيس الذى يزعجنا اليوم مصيره ، والذى نوهت (الرسالة) غير مرة بما يتهدده من الأخطار ، وما يجب على الأمم الاسلامية والعربية فى شأن الدعوة إلى حمايته وصونه

ترجمة للفيلسوف مندلسون

صدرت ترجمة جديدة جامعة للفيلسوف الألمانى اليهودى الأشهر موسى مندلسون بقلم الكاتب الألمانى أوتو تسارك O. Zarek وقد ظهر الكتاب فى امستردام (هولانده) لأن الكتب المتعلقة بالتاريخ اليهودى أو الفلسفة اليهودية لا يسمح الآن بنشرها فى ألمانيا ، وعنوانه « ترجمــة مندلسون » Eine Mendelssohn Biographie ؛ وفيه يستعرض الكاتب حياة هذا الفيلسوف منذ مولده فى سنة ١٧٢٩ فى دسّاو ، وهى نفس السنة التى ولد فيها الشاعر لسنج صديقه الحميم فيما بعد . وقد اشتغل مندلسون بادئ ذى بدء كاتباً فى محل تجارى ، كما اشتغل الفيلسوف موسى بن ميمون بتجارة السمك ، والفيلسوف اسبنوزا بصقل الزجاج ؛ وفى سنة ١٧٥٤ تعرف بالشاعر لسنج وتوثقت بينهما أواصر صداقة أدبية متينة ، وأصدرا معاً كتاباً عنوانه « بوب المشتغل بما وراء الطبيعة » ، ونشر له لسنج بعد ذلك « محادثاته الفلسفية » غفلا من اسمه ، لأن العصر لم يكن يسمح بالتوسع فى المسائل الفلسفية العميقة ؛ وأصدر لسنج بعد ذلك كتابه « ناتان الحكيم » واتخذ مندلسون بطلا لقصته . ولكن مندلسون بلغ ذروة القوة والابتكار حين أصدر كتابه «فيدون» Pheadon فى سنة ١٧٦٧ ؛ ويعتبر كتاب مندلسون بداية عصر

رفع البطل رأسه ثم أداره ببطء على الحاضرين ثم قال :

— لقد اجترأ هؤلاء فقطعوا الطريق على فلان وصحبه ، فأشهدكم أنه حر فى حكمه عليهم . . . أعندك ما تقول يا أباخالد ؟

— لا ، غير الشكر الذى أعجز عن وصفه .

فأطرق قليلاً ثم قال :

— لقد وفيت بما وعدت ، وحكمتك فحكمنى

فقلت له :

— إنما أنا رهن اشارتك ، وحكمك نافذ . فمر تطع

— اسراى أطلقهم

. . . وبين زغاريد النساء وهتاف الرجال فكّ نومان وثاق الأسرى ، وسار إلى الباب رافع الرأس ، بقدم ثابتة وخطى جبارة .

(حلب) « ع »

جديد فى الأدب الألمانى الصحيح لأنه يحمل فيه على الحركة الأدبية المتأثرة بنفوذ الأدب الفرنسى ونفوذ فولتير ، ويحمل كذلك على فردريك الأكبر لأنه شجع هذه الحركة ؛ ولم يغضب فردريك الأكبر لهذه الحملة بل بالعكس سر لها وطلب مندلسون لرؤيته ؛ ولمندلسون نظرية فى الجنسية اليهودية خلاصتها أن يندمج يهود كل أمة فى جنسية هذه الأمة اندماجا تاما ، وألا يجعلوا لأنفسهم من اليهودية نفسها جنسية خاصة ، ولكن المتعصبين لم يقبلوا نظريته ، وأصروا دائما على اتخاذ اليهودية ذاتها جنسا ودينا ؛ وقد كان لمندلسون تأثير عظيم فى توجيه الأدب الألمانى الحديث

وموسى مندلسون هو جد الموسيقى العظيم فيلكس مندلسون الذى ولد فى سنة ١٨٠٩ وتوفى فى سنة ١٨٤٧

وتعتبر هذه الترجمة الجديدة من أقوى التراجم التى صدرت عن مندلسون ، وقد اشتهر مؤلفها أوتو سارك من قبل بترجمته لكوسوت بطل المجر القوى

الوطنية واستعباد الفكر

خطب الدكتور جبلز وزير الدعاية الألمانية فى معرض الكتب فى مدينة فيمار ، فأشار الى مركز الكاتب بالأمس ومركزه اليوم فى ألمانيا النازية ، وشبه الكاتب بالجندى الذى لا يصح له أن يطلق الرصاص إلا متى أمر وحيث أمر ، فكذلك الكاتب يجب أن يكون جنديا من جنود الوطن لا يكتب إلا فيما اتفق مع مُثل الوطن وغاياته ؛ ويجب أن تحد حرية القلم بالحدود التى يتطلبها الوطن وألا يتخذ الكاتب من « فرديته » وحريته الفكرية سبيلا الى التصريح بما يخرج عن المثل القومية .

والدكتور جبلز هو أوفر العصبة النازية ثقافة ، وربما كان أشدهم شعورا بما انتهت اليه الحركة الفكرية والثقافية فى ألمانيا النازية من التدهور ، ولذا نراه ينتهز كل فرصة للدفاع عن السياسة النازية فى تصفيد الذهن والقلم ؛ بيد أن الدكتور جبلز يدافع عن قضية لا يمكن الدفاع عنها ؛ فالفردية وحرية الفكر هما أساس المدنية ؛ والفردية معناها الكرامة الانسانية ، وحرية الرأى هى أسمى ما يتمتع به الفرد فى أمة متمدنة ، ويكفى أن تعرف أن الصحافة الألمانية انحطت فى عهد النازى ، وبفضل القوانين الحديدية التى يسهر على تنفيذها الدكتور جبلز الى حالة تدعو إلى الرثاء ، وقد اختفت الصحف الكبرى الصحافة الألمانية ، وأضحى الألمانى يرغب عن قراءة الصحف الألمانية ، ويؤثر قراءة الصحف الأجنبية ، ولم تظهر فى الأعوام الثلاثة الأخيرة عبقرية فنية ذات شأن أو أى انتاج أدبى يلفت النظر ، ولا يمكن أن تظهر فى ظل هذا النظام الحديدى الذى يجعل من القلم أداة مصفدة توجهها السلطات حيث شاءت . ومما يدعو إلى التأمل أن الدكتور جبلز يلقى خطابه فى استعباد حرية الذهن فى فيمار حيثما سطعت أعظم عبقرية أدبية المانية فى ظل الحرية ونعنى جيته

كتاب عن روبرت والبول

روبرت والبول من أعظم ساسة انكلترا وساسة العصر الحديث ؛ ويعتبر هو الواضع للأساليب السياسية المحافظة التى مازالت إلى اليوم توجه السياسة الانكليزية

وقد صدرت أخيراً ترجمة مطولة لهذا السياسى الكبير فى ثلاثة أجزاء بقلم الكاتب الانكليزى ف . س . أوليفر الذى توفى قبل تمام ظهور كتابه ، بعنوان « المغامرة اللانهائية » The Endless adventure ومستر أوليفر ليس من الكتاب المحترفين ، ولكنه كاتب هاو ، وقد كان تاجراً كبيراً ، ولكنه اشتهر حينما أصدر كتابه عن « اللورد هاملتون » السياسى الكبير ، وظهرت مقدرته فى الوصف والتحليل فى كتابة التراجم

ويعرض مستر أوليفر حياة روبرت والبول فى إفاضة ، ويصف الأساليب السياسية فى القرن الثامن عشر فى العصر الذى ملك فيه والبول زمامها (أوائل القرن الثامن عشر) ؛ ويدلل على أن هذه الأساليب كانت تقوم على نوع من الطغيان السياسى الذى يسود اليوم بعض الدول العظمى ؛ ويقص علينا خلال ذلك حوادث هذا العصر السياسية

ويرى مستر أوليفر أن أعظم فارق بين السياسة فى ذلك العصر وبين السياسة فى عصرنا هو فى مقدار القوى التى يجب على السياسى العظيم أن يسيرها : ففى القرن الثامن عشر كان عليه أن يقود زمام جماعة من الملاك ، وملك ، وملكة ، وبعض الخطايا ؛ ولكن عليه اليوم أن يقود زمام ملايين الناخبين ، وزمام صحافة غدت فى عصرنا قوة هائلة تختلف نزعاتها ومصالحها

مدرسة للفن المسرحي

أنشأت الحكومة النمسوية أخيراً مدرسة فنية من نوع خاص هي « مدرسة أساتذة الفن المسرحي » ؛ وتعنى هذه المدرسة الجديدة التي ألحقت بأكاديمية الفنون الجميلة ، بتعليم كل ما يتعلق بتنظيم المناظر المسرحية وزخرفة المسرح والاخراج المسرحي ، وانتدب للتعليم فيها أشهر أساتذة هذا الفن من الاخصائيين في الزخارف وتنظيم الثياب والاخراج وغيرها . ومدة التعليم فيها سنتان ؛ ويدخلها الطلبة بعد جواز امتحان فني يثبت أهليتهم لتلقي الشؤون المسرحية ؛ والتعليم علمي وعملي بحيث يقضي الطلبة نصف اليوم في تلقي الدروس النظرية ، ثم يقضون باقي اليوم في نفس المسارح لتلقي التجارب العملية . وتمنح للطلبة الفائزين بعد عامين « دبلوم فنية » تؤهلهم للعمل في المسارح كأساتذة للاخراج الفني

ذكريات صحفي شهير

صدر أخيراً بالفرنسية كتاب للصحفي الشهير لوسيان كوربشيه عنوانه « ذكريات صحفي » Souvenirs d'un Journaliste ، في مجلدين كبيرين ؛ وقد كان كوربشيه من أعظم صحافيي ما قبل الحرب ، يكتب في أشهر الصحف البارزية ، وكانت له علائق أدبية وثيقة بأعاظم كتاب العصر ولا سيما الكاتب اللوريني الأشهر موريس باريس . ويتناول الجزء الأول منه ذكريات كوربشيه أحوال باريس ومجتمعاتها قبل الحرب ، وهو بهذه الصفة وثيقة تاريخية ثقافية لها قيمتها ؛ ويتناول الجزء الثاني حياة كاتبين عظيمين هما موريس باريس وبول بورجيه ، وقد كان باريس يتولى زعامة فرنسا الأدبية في بعض المناحي ولا سيما الكتابة السياسية الوطنية ، وكان بورجيه يتولى الزعامة الأدبية في عالم النقد والتحليل النفسي ؛ وقد استطاع كوربشيه أن يقدم لنا صوراً حية قوية من هذين الكاتبين ، ومن الآثار العميقة التي أحدثاها في جيل عصرهما الأدبي والثقافي ؛ ويبدي كوربشيه فوق ذلك حبه وإعجابه العميق لهما . ويعتبر كتاب كوربشيه نداء للشباب والجيل الجديد يذكره بالقديم وما كان فيه من عظمة في التفكير ، وارتفاع عن مناحي الأدب المنحل الذي يغمر كل شيء في عصرنا .

ذكرى الموسيقي لست

احتفل أخيراً في فينا بذكرى الموسيقي الشهير فرانز لست Liszt لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ؛ وهذا الاحتفال هو صدى احتفالات قومية عديدة أقيمت في بودابست احتفاء بهذه الذكرى لأن لست مجري المولد والجنس ، ولكنه درس في فينا ، وفيها بزغ مجده ، وكان مولده في سنة ١٨١١ ووفاته سنة ١٨٨٦ ؛ وبرع لست في العزف على البيانو وفي التصنيف الموسيقي ، وله بالأخص قطع كنسية رائعة ؛ وطاف بباريس ولندن ومعظم عواصم القارة وخلب الألباب بافتتانه وسحره ، وكتب عن رحلته كتاباً سماه « أعوام الحج » ، وله مصنفات موسيقية في المقام الأول

وقد أهدت الحكومة المجرية بهذه المناسبة الى مدينة فينا لوحة تذكارية عن لست ؛ واحتفلت الحكومة بوضعها في دير « شوتنهوف » في احتفال رسمي فخم شهده وفد عن الحكومة المجرية ، وشهده جمع كبير من الوزراء وأقطاب الفن ؛ وألقيت خطب عديدة عن حياة لست وعن عبقريته الفنية ؛ وعزفت قطع من تصنيفه ونوه الفريقان بالدور العظيم التي تقوم به ذكرى لست في توثيق الروابط الثقافية والفنية بين الشعبين المجري والنمسوي

دوهامل ومستقبل الكتب

يكتب الآن مسيو جورج دوهامل عضو الأكاديمية الفرنسية في مجلة « مركير » الشهيرة عدة مقالات عن مستقبل الكتب ، وما يهددها من أخطار عظيمة من جراء السينما والراديو وغيرهما من الوسائل المصطنعة لنشر الثقافة السطحية ؛ وقد كان مسيو الفريد ڤاليت يكتب في مجلة « مركير » في نفس الموضوع قبل جورج دوهامل ؛ ويلاحظ مسيو دوهامل في مقالاته القوية الممتعة أن هذا العصر الذي يهدد فيه مصير الكتب بأشد الأخطار ، هو العصر الذي اشتدت فيه حاجة الانسان إلى « الكتاب » الجيد ، وينعى على الحركة الأدبية المعاصرة ما تبديه من الميل إلى جعل الأدب سلعة تجارية وجعله آلياً وتجريده من كل عناصره المعنوية ، وذلك طبقاً لأساليب تجعل من الذهن سلعة تجارية منحطة . ويزمع مسيو دوهامل أن يجمع هذه المقالات في كتاب خاص تنتظره الدوائر الأدبية بفارغ الصبر

وفاة علامة أثري

نعت أنباء فينا الأخيرة العلامة الأثري الدكتور ولهلم كوبتشك توفي في التاسعة والسبعين من عمره ، وكان مولده بمدينة برسبورج ؛ ودرس التاريخ القديم واللغات القديمة في فينا وبرلين ، واشتغل منذ شبابه بالتدريس في جامعة فينا ، ثم عين بعد ذلك أميناً لمتحف النقود والداليات القديمة ، وأستاذاً للتاريخ الروماني في جامعة فينا

وقد اشتهر الأستاذ كوبتشك بمباحثه في مسائل التاريخ القديم ولاسيما التاريخ الروماني وقراءة النصوص والآثار القديمة وفحص النقود والداليات القديمة واستقراء التواريخ والحوادث فيها ؛ واشتهر أيضاً بمباحثه في الجغرافيا الرومانية القديمة

خريدة القصر للاصبهاني والذخيرة للامام القرافي

ذكرنا في العدد ١٦٨ من (الرسالة) أن الجمعية الأسيوية البنجالية بكلكتا عثرت على جزء من كتاب (خريدة القصر) للأصبهاني ، وأنه عثر على نسخة من كتاب الذخيرة للامام القرافي في مكتبة الأزهر . وقد جاءنا من أمين مكتبة كلية القرويين بفاس ما يأتي :

يوجد بخزانة كلية القرويين العامة بمدينة فاس تحت نمرة (البرنامج الجديد) ل ٥٧٦ جزءان من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للامام أبي عبد الله محمد بن محمد الكاتب عماد الدين الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ موافق ١٢٠٠ م وهما الجزء الخامس والسادس من النسخة . أول الخامس (قافية العين من شعر القاضي أبي بكر الأرجاني في مدح الوزير جمال الدين أبي على وزير المسترشد بالله ، وفي آخره آخر القسم الثاني من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر يتلوه القسم الثالث في ذكر محاسن شعراء الشام في الجزء السادس ، وينتهي هذا الجزء السادس بقوله : تم الجزء السادس ويتلوه الجزء السابع وهو الثاني من القسم الثالث الأمراء الكنانيون من شيراز ، وهما جزءان ضخمان كتبا بخط جميل أندلسي في كاغد متين خاليين من كل طرة فاقدين اسم الناسخ وتاريخ النسخ إلا أن أمارات القدم تلوح عليهما ، وقد كانا مملوكين لجناب أمير المؤمنين المنصور الذهبي السعدي المتوفى سنة ١٠١٢ هـ موافق ١٧٨٥م بآخر أحدهما مانصه : برسم خزانة مولانا أمير المؤمنين الخليفة المجاهد أبي العباس المنصور بن مولانا أمير المؤمنين الخليفة المجاهد أبي عبدالله محمد الشيخ . وعلى الجزءين معاً وقف هذين الجزءين على خزانة كلية القرويين العامرة ، وعلى التحبيس خط يد السلطان المنصور الذهبي السعدي سنة ١٠١٢ هـ موافق ١٧٨٢ م

ويوجد أيضاً منه قطعة أخرى مبتورة الأول والآخر كانت مجهولة فأعملت المجهود للكشف عنها فوجدتها من جريدة القصر ونظمت تحت عدد ل ٦٠٤

كذلك توجد الذخيرة على مذهب إمام دار الهجرة للعلامة الشهير الامام القرافي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس المالكي مذهباً المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٢ م تحت نمرة ل ٣٥٤ غير تامة . الموجود منه الآن تحت النظام ثلاثة أجزاء ضخام جداً ، وأصل هاته النسخة من ثمانية أجزاء بدليل ما رقم على الجزء الثامن منها ونصه : (السفر الثامن من كتاب الذخيرة على مذهب إمام دار الهجرة النبوية وفيه من الأبواب الفقهية كتاب أمهات الأولاد ، كتاب الجنايات ، كتاب موجبات الضمان ، كتاب الفرايض والمواريث ، كتاب الجامع . فلا شك أن هذا هو الجزء الأخير ، وعندنا الجزء السادس وفيه من الأبواب الفقهية كتاب الحبس والوصية والشفعة والشركة . وبآخره : كمل الجزء السادس من الذخيرة بحمد الله وحسن عونه يتلوه في السابع إن شاء الله كتاب الرهون

وعندنا جزء آخر كتب عليه أنه الخامس من كتاب الذخيرة وعند الفحص لوضع البرنامج الجديد تبين أنه جزء مختلط إذ أوله في الجنايات والمواريث وآخره في العتق والكتابة ، وبآخره : تم السفر الخامس من كتاب الذخيرة على يد عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الحضرمي سنة ٧٢٧ هـ ويظهر أن هذا غلط من الناسخ حيث ضم أول الثامن مع آخر الخامس وجعلهما سفراً واحداً . أما الأولان أعني السادس والثامن فسالمان . أجزاء ثلاثة ضخام جدا في أوراق متينة مكتوبة بالسواك بخط أندلسي جميل خاليين من اسم الواقف .

محمد العربي

الكتب

كتاب البلاغة العالية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

١٣٠ صفحة من القطع الكبير ، طبع المطبعة السلفية ، ثمنه خمسة قروش

يمتاز الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى المدرس فى كلية اللغة العربية ، بحرية الرأى وحب التجديد ، والمثابرة على البحث والتأليف ، فهو لا يفتأ الفينة بعد الفينة يدبج الرسائل الضافية ، والكتب العالية التى تنم عن علم غزير ، وأدب وفير ، وفكر دقيق لاقف ، وذهن رهيف خاطف

وقد أخرج للناس فى هـذه الأيام الجزء الأول من كتابه البلاغة العالية ، وهو خاص بعلم المعانى . وأهم ميزة لهذا الكتاب أنه خالف الترتيب المعهود من عهد السكاكى والخطيب ، الى ترتيب آخر جـديد ، فزاد فى علم المعـانى فصولاً وحذف منه فصولاً ، واجتهد فى مسائله برأيه الذى يحرص الحرص كله على إظهاره فى كل ما تخطه براعته

وهناك ميزة ثانيـة لا تقل عن هذه الميزة أهمية ، وهى أنه أزاح طائفة كبيرة من المسـائل النحوية التى أقحمها الأقدمون فى البلاغة إقحاماً عابثاً ، كما ذكروا فى أحوال التعريف بالاضمار أنه يكون لأن المقـام للتكلم أو للخطاب أو للغيبة ، وكإرغامهم وإزبادهم فى تقسيم القصر باعتبـار المقصور الى قصر موصوف على صفة وقصر صفة على موصوف ، وباعتبار حال المخاطب به إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ، الى غير ذلك من المباحث النحوية التى طفحت بها كتب البلاغة وهى أبعد ما تكون عنها . وقد صنع الأستاذ المؤلف خيرا بازاحته تلك الأعباء النحوية عن كاهل البلاغة ، وجعلها خالصة لمعانيها الخاصة بها

وإنا نشكر للأستاذ اتحافه طلاب البلاغة بهذا الكتاب الذى جرد فيـه العناية وأظهر الكفاية حتى استحصفت وثائقه ، واستحصدت علائقه ، وغدا حريا — من أجله — بأن يوشح حلل المجد والثناء ، حجياً بأن يطوق قلائد الشكر والدعاء

س . ص

ديوان السرىّ الرفّاء

طبعته مكتبة القدسى بباب الخلق

السرى شاعر من شعراء سيف الدولة كان فى صباه يرفو الثياب ويطرزها ثم تولع بالأدب ونظم الشعر وتفنن فى التشبيهات والأوصاف فأحسن فى كثير منها ، وشعره نمط سهل يتحدر عن طبع صاف كما يجرى الماء من الينبوع وليس وراءه العلم والفلسفة ولـكن وراءه النفس والطبيعة

وقد قال فيه الامام أبو هلال العسكرى صاحب كتاب الصناعتين : ليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منـه . ويريد أبو هلال بلزوم عمود الشعر تجنب الغموض فى تركيب النظم والبعد من تدقيق المعانى تدقيقاً فلسفياً ، وذلك رأى كان قديما فى النقد يفرقون بين الشاعر الذى يصنع شعره صناعة عقلية دقيقة وبين المطبوع الذى يرسل شعره فى جمال سبكه وصفاء لفته وإشراق معانيه كما يرسل الطائر المتغرد لحنه فى التغريد

وشعر الطبع من أحسن ما يفيد الناشئين فى نهضتنا هذه فانه صقل وجلاء وتصحيح للطريقة وتهيئته للسمو فى هذه الصناعة ، وديوان السرى قوى الأثر فى ذلك ؛ وهل فى الغزل أصفى وأرق وأجمل من مثل قوله :

بنفسى من أجود له بنفسى ويبخل بالتحيـة والسلام

ويلقاني بعزة مستطيل وألقاه بذلة مستهام
وحتى كامن فى مقلتيه كمون الموت فى حد الحسام

وله فى شكوى الدهر :

يرتد عنه جريحاً من يُساله فكيف يسلم منه من يحاربه ؟
ولو أمنت الذى تجنى أراقمه على ، هان الذى تجنى عقاربه

الأسلام فى بولونيا

تأليف على فورونوفتش و محمد سيد الحموى

بقلم الأديب محمود البدوى

رسالة صغيرة فى أربع وستين صفحة من القطع المتوسط طبعت بمطبعة الاعتماد على ورق جيد ومحلاة بكثير من اللوحات والخرائط وصور كبار رجال الاسلام فى بولونيا وبعض الفرق الاسلامية والأندية والمساجد هناك . . . وتقرأ فيها كيف نشأ الاسلام فى بولونيا وامتد وتشعب واضطهد من الروس وثار عليهم وتحرر وثبتت دعائمه بعد أن استقلت بولونيا حتى غدا الآن فى عصره الذهبى

والرسالة فى إيجازها تشبه المختصرات التى تلقى على تلاميذ المدارس . وأسلوبها سهل بسيط يفهمه كل قارئ ، يود أن يقف على حال المسلمين فى تلك البلاد

وليقرأ معنا القارئ الكريم :

« يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا ١٢٠٠٠ نفس وليس هذا العدد بالقليل إذا نحن وازنا بينه وبين عدد المسلمين فى دول غرب وشمال أوربا ، وحالتهم المعيشية على جانب عظيم من التحسن ، وهذا التحسن آخذ فى الزيادة لاهتمام الدولة بهم ومحافظتها على مصالحهم الدينية ؛ وهم يعترفون بفضل الحكومة القائمة وكرمها ، ويعتبرون هذه الأيام العصر الذهبى للاسلام فى تلك البلاد ، وهم ينعمون فى بحبوحة من العيش وقد توطدت صلاتهم بالخارج وزادت معارفهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية وسافر بعضهم لطالب العلم فى الخارج وخصوصاً العلوم الدينية وحج بيت الله الحرام وزيارة الأماكن المقدسة

وحيد

تأليف الأستاذ حسين عفيف المحامى

قصة تمثيلية طريفة فى ١٩١ صفحة من القطع الصغير طبعت بمطبعة حجازى بالقاهرة على ورق جيد . وهى فى أربعة فصول طوال وحوارها شائق وأسلوبها متماسك وخيال مؤلفها فياض يروق القارئ المصرى . وبطلها وحيد شاعر موسيقى فنان يعيش فى كوخ فى الجبل ، مرت عليه سميرة إحدى بنات الباشوات فأحبها الشاعر وأحبته من أول نظرة ... وجاءته فى اليوم الثانى يدفعها وجدها وحبها ودار بينهما حديث غرامى طويل انتهى إلى عناق أطول .. وافترقا على وعد بلقاء قريب ... ومرضت سميرة فى اليوم التالى وأرسلت أختها « ألفت » ومعها رسالة رقيقة إلى وحيد فأعجب الشاعر بجمالها وأحبها وأحبته وضمهما عناق . . . وعلمت سميرة بخيانة ألفت وحب وحيد الجديد فكسر قلبها ، ومرضت وماتت . . . ! ! ولحقت بها ألفت ومات بعدهما وحيد وهو يقول :

« هأنذا الآن أقضى ومن قبل قضت سميرة ، غداً يلتقى الخلان ويعودون كما كانوا إلى الصفاء بعد أن لم يبق ثمت للعداوة موجب

والقصة كما قلت خيالية ممتعة وسيعجب بها القارئ كثيراً